

خلاصة كتاب

# نصائح حتر صا اراقتر

لإخواننا الأشاعرة

تأليف

الدكتور / محمد بن علي بن جميل المطري





خلاصة كتاب

نصيحة صديقة

لإخواننا الأشاعرة



خلاصة كتاب

# نصيحة صابرة

لإخواننا الأشاعرة

تنبيهات مهمة وفوائد نفيسة ونقول عزيزة

تأليف

الدكتور / محمد بن علي بن جميل المطري

# كتاب خلاصة

## الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م

اسم الكتاب : خلاصة كتاب نصيحة صادقة لإخواننا الأشاعرة  
اسم المؤلف : محمد بن علي بن جميل المطري .  
مقاس الصفحة : ١٧ × ٢٤ سم .  
عدد الصفحات : ( ١٠٢ صفحة ) .  
رقم الطبعة : الأولى - ١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م .  
التسويق والإخراج : كيوفور للطباعة والنشر

<https://bit.ly/3mMAJb3>



حقوق الطبع محفوظة لكل مسلم





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، أما بعد:

فأحمد الله الكريم الوهاب الذي يسر لي الاطلاع على كثير من كتب العقائد القديمة والمعاصرة المبيّنة لعقيدة أهل السنة والجماعة وما خالفها من الفرق والمذاهب، وعندما عملت مع القسم العلمي في موقع الدرر السنية في موسوعة الفرق اطلعت على أشهر كتب الأشاعرة القديمة والحديثة، وتبينت لي حقائق كثيرة، وقد قمت بتلخيص هذه الرسالة من موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام من موقع الدرر السنية، واستأذنتهم في نشرها، تقريبا للفائدة، والله الموفق وحده.

وكتب / محمد بن علي بن جميل المطري

صنعاء - اليمن

١١ محرم ١٤٤٤ للهجرة

matari63@hotmail.com

واتس: ٠٠٩٦٧٧٧٧١٧٥٩٢٧

## المبحث الأول:

### التعريف بأبي الحسن الأشعري

هو الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، من ذرية الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري.

قال الذهبي: (لأبي الحسن ذكاء مفرط، وتبحر في العلم، وله أشياء حسنة، وتصانيف جمّة تقضي له بسعة العلم).

توفي أبو الحسن الأشعري رحمه الله في بغداد سنة ٣٢٤ هـ.

وقد اتفق المؤرخون والباحثون على أن أبا الحسن الأشعري رحمه الله كان في أول أمره معتزلياً، واستمر على مذهب الاعتزال سنين كثيرة، ثم رجع عن بدعة الاعتزال وعمره نحو أربعين سنة، ورد على المعتزلة، وبين بطلان عقائدهم التي خالفوا فيها الحق، وكان أبو الحسن الأشعري في هذه المرحلة على طريقة عبد الله بن سعيد بن كلاب البصري المتوفى سنة (٢٤٣ هـ) الذي كان يخالف المعتزلة، ويوافق أهل السنة في كثير من المسائل الاعتقادية، وطريقة ابن كلاب أقرب إلى السنة من طريقة المعتزلة، فكان أبو الحسن على هذه الطريقة.

واختلف المؤرخون والباحثون هل استمر أبو الحسن على طريقة ابن كُلاب أو أنه رجع عنها أيضاً إلى مذهب السلف؟

وسبب الخلاف أنه لا يوجد نص واضح لأبي الحسن يبين فيه براءته من طريقة ابن كُلاب كما تبرأ من طريقة المعتزلة، وعلى كل حال سواء تبرأ أبو الحسن من طريقة ابن كُلاب أو بقي عليها، وسواء ثبت أتباع أبي الحسن مذهب السلف أو لم يثبت، فالعلماء يحكمون على أي قول بالصحة والفساد بحسب موافقته لأدلة الكتاب والسنة، فإذا وافق أبو الحسن الكتاب والسنة في المسائل التي تكلم فيها، واتبع فيها السلف الصالح فقد أصاب، وإذا خالف الأدلة فقد أخطأ، وكل عالم يُؤخذ من قوله ويُرد.

## المبحث الثاني:

### نشأة المذهب الأشعري وأسباب انتشاره

ظهر في أول القرن الثالث الهجري عبد الله بن سعيد ابن كُلاب القَطَّان البصري (ت ٢٤٣هـ)، وكان رحمه الله له فضل وعلم ودين، وصنف مصنفات كثيرة في الرد على الجهمية والمعتزلة، وربما وافق المعتزلة، وكان يميل إلى مذهب أهل السنة، لكن فيه نوع من البدعة، ويُقال: إنه سُمِّي ابن كُلاب لأنه كان يجر الخصوم إلى نفسه بفضل بيانه كأنه كُلاب، وهو الذي ابتدع القول بأن كلام الله قائم بذات الله بلا مشيئة، وقد شرح أبو الحسن الأشعري رحمه الله في كتبه قول عبد الله بن كُلاب في باب الأسماء والصفات، وذكر اختلاف أصحاب عبد الله بن كلاب في بعض مسائل الكلام، ولم يكن أبو الحسن الأشعري موافقا لابن كُلاب في جميع أقواله، لكنه تأثر كثيرا بابن كلاب، فأصل مذهب الأشاعرة هو مذهب ابن كلاب.

وقد كتب أبو الحسن الأشعري أكثر من ثلاثمائة كتاب ورسالة في العقائد وفي الرد على المعتزلة وغيرهم من أهل البدع، حتى صار أبو الحسن في زمنه أشهر من ابن كُلاب، وكان المنتسبون الأوائل إلى المذهب الأشعري من أهل العلم والفضل والدين، ولم يتم في عهدهم امتزاج المذهب الأشعري بعلم الكلام والفلسفة والتصوف، فكان العلماء يرون الانتساب إلى أبي الحسن الأشعري

انتساب إلى السنة؛ لما رأوا في كتب أبي الحسن وكتب تلاميذه وتلاميذ تلاميذه تعظيم السلف الصالح، والقدرة على إفحام المعتزلة، والدفاع عن عقائد أهل السنة.

ومما رغب المتأخرون من فقهاء المالكية والشافعية في الانتساب إلى المذهب الأشعري انتشار المذهب الماتريدي الذي يشابه كثيرا المذهب الأشعري في تأويل الصفات، وفي كثير من مسائل الاعتقاد، وصار ينتسب إلى المذهب الماتريدي فقهاء الحنفية، فانتسب كثير من فقهاء المالكية والشافعية إلى المذهب الأشعري، وأشهر الأشاعرة القول بأن هناك طريقتان في آيات وأحاديث الصفات، طريقة السلف وهي التفويض، وطريقة الخلف وهي التأويل، وصار هذا القول مسلماً به عند كثير من العلماء، مع أنه في الحقيقة يخالف ما كان عليه السلف الصالح من الإيمان بمعاني الصفات كما يليق بعظمة الله سبحانه، والقول بأن مذهب السلف هو تفويض معاني الصفات للجهل بها قول خاطئ، بل السلف كانوا يفهمون معاني نصوص الصفات، ويفوضون كيفية الصفات لا معانيها، فمثلا صفة الاستواء تكلم السلف عن معناها، قال الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه (٩ / ١٢٤): (قال أبو العالية: ﴿أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩]: (ارتفع)، وقال مجاهد: ﴿أَسْتَوَىٰ﴾: (علا على العرش).

ومشهور قول الإمام مالك رحمه الله حين سئل عن الاستواء: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة).

قال أبو عمر ابن عبد البر في التمهيد (٧ / ١٣١): (من حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز؛ إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك، وإنما يوجه كلام الله عز وجل إلى الأشهر والأظهر من وجوهه، ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم، وجل الله عز وجل عن أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين، والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم، وهو العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكن فيه، قال أبو عبيدة في قوله تعالى: استوى قال: علا، ... قال أبو عمر: الاستواء الاستقرار في العلو، وبهذا خاطبنا الله عز وجل).

ومما يبين أن السلف رحمهم الله يؤمنون بمعاني الصفات ويعرفون معانيها أنهم فسروا معاني أسماء الله الحسنى، وهي تتضمن صفات لله سبحانه.

فمثلا الرحمن الرحيم يتضمنان صفة الرحمة، والعزيم يتضمن صفة العزة، والحكيم يتضمن صفة الحكمة، والسميع يتضمن صفة السمع، والبصير يتضمن صفة البصر، فكيف يُقال: إن هذه الصفات الرحمة والعزة والحكمة والسمع والبصر لا يُعلم معناها؟! وكيف يخاطبنا الله تبارك وتعالى في كتابه بأعظم شيء وهو أسماؤه وصفاته بما لا نعلم معناه؟!!

ولو أن إنسانا أشكل عليه معنى بعض آيات وأحاديث الصفات ففوض معناها لجهله، من غير أن يلتزم تفويض معاني جميع نصوص الصفات الكثيرة؛ فلا حرج عليه، من غير أن ينسب هذا التفويض للمعاني للسلف الصالح كذبا أو

خطأ عليهم، وكيف يصح أن يُنسب هذا الجهل بمعاني نصوص الصفات للنبي صلى الله عليه وسلم والله قد بين له كتابه؟!

قال ابن تيمية في كتابه درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٠٥) مبينا خطورة مذهب التفويض: (فيبقى هذا الكلام سدا لباب الهدي والبيان من جهة الأنبياء، وفتحاً لباب من يعارضهم ويقول: إن الهدي والبيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء؛ لأننا نحن نعلم ما نقول ونبينه بالأدلة العقلية، والأنبياء لم يعلموا ما يقولون: فضلاً عن أن يبينوا مرادهم! فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد).

وقال ابن القيم في كتابه الصواعق المرسله (٢/ ٤٢٢): (أصحاب التجهيل قالوا: نصوص الصفات ألفاظ لا تعقل معانيها، ولا ندري ما أراد الله ورسوله منها، ولكن نقرأها ألفاظاً لا معاني لها، ونعلم أن لها تأويلاً لا يعلمه إلا الله، وهي عندنا بمنزلة: ﴿كَهَيْعَصَ﴾ [مريم:١] ... وظن هؤلاء أن هذه طريقة السلف، وأنهم لم يكونوا يعرفون حقائق الأسماء والصفات، ... ولازم قولهم إن الرسول كان يتكلم بذلك ولا يعلم معناه!).

ومما يبين بطلان مذهب التفويض أننا نؤمن بالروح الذي أخبرنا الله أنه استأثر بعلمه، ونؤمن بما أعد الله لأهل الجنة من النعيم الذي لا يخطر على قلب بشر، ونؤمن بما أعد لأهل النار من العذاب الأليم الذي منه الزقوم والغسلين والسلاسل والأغلال التي لم نر مثلها، ونحن نعلم معنى الروح والنعيم والعذاب، ونفهم ما أخبرنا الله به من تفاصيل النعيم والعذاب، لكن لا نعلم

كيفيتها مع كونها مخلوقة، والله الأمثل الأعلى، فنحن نعلم معاني ما أخبرنا الله به عن نفسه من صفاته العظيمة، ولا نعلم كيفيتها، فالتفويض يكون للكيفية لا للمعنى حتى للمخلوقات التي لا ندركها بحواسنا، ومن باب أولى أننا نفوض كيفية صفات الخالق مع علمنا بمعاني ما أخبرنا به من أسمائه وصفاته، وهذا هو مذهب السلف، وهو الحق الذي يجب على كل مسلم اعتقاده في آيات وأحاديث الصفات.

والقول بأن مذهب السلف هو التفويض كان سببا في تفضيل بعض العلماء لمذهب الأشاعرة أو على الأقل رضاهم عنهم في خوضهم في صفات الله بالتأويل؛ لأن في التأويل لنصوص الصفات زيادة علم وفضل على المفوضة الساكتين عنها، المعترفين بجهلهم بمعانيها، الذين حالهم كحال الأعمى الذين لا يعلمون الكتاب إلا أمانى، ومعاذ الله أن يكون هذا حال السلف، وبهذا يتبين بطلان قول من قال: مذهب السلف أسلم، ومذهب الخلف أحكم وأعلم! بل مذهب السلف أحكم وأعلم وأسلم.

ويمكن تلخيص أهم أسباب انتشار المذهب الأشعري في العالم الإسلامي فيما يلي:

(١) انحسار مذهب المعتزلة، وظهور المذهب الأشعري الذي تصدى للمعتزلة، وبين بطلان كثير من بدعهم.

- (٢) نشأة المذهب الأشعري في عاصمة الخلافة العباسية بغداد، وفيها الفقهاء، والمحدثون، والمقرئون، ويرحل إليها طلاب العلم، فكثرت الناقلون لهذا المذهب إلى جهات كثيرة من بلاد الإسلام شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً.
- (٣) توسط المذهب الأشعري في بداية نشأته إلى حد ما بين المعتزلة والجهمية، وبين المشبهة وغلاة مثبتة الصفات من الحنابلة.
- (٤) الجهل بحقيقة مذهب السلف، واشتهار القول بأن هناك طريقتان في آيات وأحاديث الصفات، طريقة السلف وهي التفويض، وطريقة الخلف وهي التأويل.
- (٥) ظهور المذهب الماتريدي الذي يشابه كثيرا المذهب الأشعري في تأويل الصفات، وفي كثير من مسائل الاعتقاد.
- (٦) انتساب كثير من فقهاء الحنفية إلى المذهب الماتريدي، فانتسب كثير من فقهاء المالكية والشافعية إلى المذهب الأشعري.
- (٧) اشتها القول بأن أهل السنة هم الأشاعرة والماتريدية وأهل الحديث.
- (٨) انتشار التصوف الذي امتزج بالعقيدة الأشعرية أو الماتريدية.
- (٩) مراسلة علماء الأشاعرة للسلطين في الدفاع عن الأشاعرة وبيان صحة معتقدتهم، ونصيحتهم السلطين باتباع هذه العقيدة، وتبني بعض الملوك والوزراء والأمراء لمذهب الأشاعرة، وتشجيعهم لأعلامه، ومساهماتهم في نشره، وبناء المدارس لتدريسه، كالوزير السلجوقي نظام الملك، (ت

٤٨٥هـ)، وابن تومرت، أمير الموحدين، (ت ٥٢٤هـ)، والسلطان نور الدين محمود بن زنكي، (ت ٥٦٩هـ)، والسلطان صلاح الدين الأيوبي، القائد المشهور، فاتح القدس، (ت ٥٨٩هـ)، فقد حمل صلاح الدين الناس على عقيدة الأشعري، وشرط ذلك في أوقافه ومدارسه التي كانت في مصر، وبعد موت صلاح الدين رحمه الله استمر غالب ملوك الأيوبيين على تشجيع المذهب الأشعري، وأدخل الأيوبيون المذهب الأشعري إلى اليمن، ثم جاءت دولة المماليك، وهم موالي الأيوبيين، فساروا على المذهب الأشعري، ثم جاءت الدولة العثمانية بعد المماليك، فشجع السلاطين العثمانيون التصوف الذي امتزج بالمذهب الأشعري والماتريدي، وكان هذا من أسباب انتشار المذهب الأشعري والمذهب الماتريدي في العصور المتأخرة.

١٠) أن العلماء الأعلام الذين تبنا المذهب الأشعري أو تأثروا به كالباقلائي، وابن فورك، وعبد القاهر البغدادي، والبيهقي، وأبي القاسم القشيري، وأبي الوليد الباجي، وأبي المعالي الجويني، وأبي حامد الغزالي، والمازري، وابن عطية الأندلسي، والقاضي ابن العربي، والقاضي عياض، والفخر الرازي، وأبي الحسن الأمدي، والعز ابن عبد السلام، وأبي عبد الله القرطبي، والنووي، والسبكي، وابن حجر العسقلاني، والسيوطي، وابن حجر الهيتمي، وغيرهم، كان لهم تأليف كثيرة نافعة جدا في فنون شتى، وكانوا إما دعاة إلى المذهب الأشعري صراحة، وإما مصوبين لما ينقلونه

عن الأشاعرة من تأويل الصفات أو ساكتين عن بيان بطلانه غالباً؛ لما تقرر عند أكثرهم أن مذهب السلف هو التفويض، وأن الأشاعرة يجوزون التفويض أو التأويل، وأنه لا حرج على من أخذ بأحد المذهبين، وأخذ عنهم ذلك طلابهم وطلاب طلابهم، وهلم جرا، وتأثر بهم من قرأ كتبهم المتنوعة في العقائد والتفسير وعلوم القرآن والفقه وأصول الفقه والحديث والنحو والتراجم والتزكية، حتى اعتمد المذهب الأشعري غالب فقهاء الشافعية والمالكية المتأخرين، بل وتأثر بالمذهب الأشعري بعض فقهاء الحنابلة، فألف ابن الجوزي الحنبلي كتاب (دفع شبهة التشبيه)، الذي رد فيه على بعض من غلا في إثبات الصفات من الحنابلة، وقابل ذلك بالتأويل أو التفويض، وألف مرعي الحنبلي (أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات)، الذي قرر فيه مذهب التفويض لمعاني الصفات، وادّعى فيه أنه مذهب السلف الصالح.

(١١) غربة الدين، وقلة العلم بحقيقة ما كان عليه السلف الصالح من إمرارهم نصوص الصفات على ظاهرها من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكيف ولا تمثيل، وتفويضهم كيفية الصفات مع العلم بمعانيها كما يليق بجلال الله سبحانه وعظمته، وتقصير كثير من علماء أهل السنة في توضيح الحق بأدلتها، والرد على الباطل وأهله، ومن قام منهم بنصرة الحق والرد على أهل الباطل أو ذي إما بالسجن أو الطرد والنفي، وربما أفتى بعض

المتعصبين الغلاة بسفك دمه أو سجنه وعقوبته، فاكتفى كثير من علماء أهل السنة بالصمت طلبا للسلامة، والله المستعان.

(١٢) تبني كثير من دور العلم في العالم الإسلامي عقيدة الأشعرية كالجامع الأزهر في مصر وجامع الزيتونة في تونس وكثير من المدارس التي اعتمدت المذهب الأشعري في مكة المكرمة والمدينة النبوية ودمشق وحضر موت وزيد وإندونيسيا وغيرها من بلاد المسلمين.

## المبحث الثالث:

### تطور مذهب الأشاعرة

يتفق الباحثون من الأشاعرة وغيرهم على أن المذهب الأشعري تطور بعد أبي الحسن الأشعري بواسطة كثير من أئمة المذهب الأشعري كالقاضي أبي بكر بن الباقلاني والأستاذ ابن فورك وعبد القاهر البغدادي وأبي القاسم القشيري وأبي المعالي الجويني وأبي حامد الغزالي والفخر الرازي وأبي الحسن الأمدي والإيجي، وقد ازداد تطور المذهب الأشعري مع مرور الزمن حتى صارت العقيدة الأشعرية عند المتأخرين عقيدة فلسفية صوفية قبورية، مخالفة للعقيدة الصحيحة التي كان عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما سيأتي إثباته من كتب الأشاعرة أنفسهم مع مراعاة الأمانة العلمية في النقل عنهم بلا تقول عليهم.

**ومن أبرز مظاهر التطور في المذهب الأشعري ما يلي:**

**أ - القرب من الجهمية والمعتزلة.**

لا يخفى على الناظر في الكتب المعتمدة عند الأشاعرة أنهم يتفقون مع الجهمية والمعتزلة في بعض المسائل والأصول، ومن ذلك اتفاقهم على تقديم العقل على النقل، مع أنه لا تعارض أصلاً بين العقل الصريح والنقل الصحيح.

وقد ذكر السنوسي الأشعري أن من أصول الكفر التمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير عرضها على البراهين العقلية والقواطع الشرعية، للجهل بأدلة العقول، وعدم الارتباط بأساليب العرب.

وفي مسألة الإيمان وافق الأشاعرةُ الجهميةَ في جعل الإيمان مجرد التصديق بالقلب! وجعلوا الكفر مجرد التكذيب، فعندهم أن السجود للصنم وسب النبي صلى الله عليه وسلم وإهانة المصحف ليس كفرا بذاته، وإنما هو دليل على الكفر الذي هو انتفاء التصديق من قلب فاعله.

### ب- تأثير الفلسفة في المذهب الأشعري.

الناظر في كتب الأشاعرة يعجب من كثرة النقل عن الفلاسفة وشرح مذاهبهم وذكر أقوالهم، مع الرد عليها كثيرا، والموافقة لبعضها نادرا، وكان الواجب الإعراض عنها.

قال التفتازاني في شرح العقائد النسفية (ص: ١٢): (لما نقلت الفلسفة الى العربية وخاض فيها الإسلاميون حاولوا الرد على الفلاسفة فيما خالفوا فيه الشريعة، فخلطوا بالكلام كثيرا من الفلسفة، ليتحققوا مقاصدها فيتمكنوا من إبطالها، وهلم جرا إلى أن أدرجوا فيه معظم الطبيعيات والإلهيات، وخاضوا في الرياضيات حتى كاد لا يتميز عن الفلسفة، لولا اشتماله على السمعيات، وهذا هو كلام المتأخرين).

وقد تنبه بعض متأخري الأشاعرة لكثرة ضرر كلام الفلاسفة فحذر من الكتب التي تنقل كلامهم، جاء في شرح السنوسي على أم البراهين مع حاشية

الدسوقي (ص: ٧٠ - ٧٢)، وهي من الكتب المعتمدة عند الأشاعرة: (وليحذر المبتدي جهده أن يأخذ أصول دينه من الكتب التي حُشيت بكلام الفلاسفة، وأولع مؤلفوها بنقل هوسهم، وما هو كفر صراح من عقائدهم التي ستروا نجاستها بما ينبهم على كثير من اصطلاحاتهم وعبارتهم التي أكثرها أسماء بلا مسميات، وذلك ككتب الإمام الفخر في علم الكلام، وطوالع البيضاوي، ومن حذا حذوهما في ذلك، وقل أن يفلح من أولع بصحبة كلام الفلاسفة أو يكون له نور إيمان في قلبه أو لسانه).

ج - التهاون في تقرير توحيد الألوهية والدخول في التصوف والغلو في الأولياء.

### التوحيد عند الأشاعرة يشمل ثلاثة أمور:

١- أن الله واحد في ذاته لا قسيم له.

٢- وأنه واحد في صفاته لا شبيه له.

٣- وأنه واحد في أفعاله لا شريك له.

ومعلوم أن أهل السنة يقسمون التوحيد إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وللأسف الشديد أننا نجد عند بعض الأشاعرة والماتريدية المتأخرين خلافا في توحيد الألوهية، ومن ذلك ما نقله الخادمي في كتابه بريقة محمودية (١ / ٢٠٣) عن بعض الأشاعرة وغيرهم فقال: (عن الزيلعي: ويجوز التوسل إلى الله تعالى والاستغاثة بالأنبياء والصالحين بعد موتهم؛ لأن المعجزة والكرامة لا تنقطع بموتهم، وعن الرملي أيضا بعدم انقطاع الكرامة بالموت، وعن إمام الحرمين: ولا ينكر الكرامة ولو

بعد الموت إلا رافضي، وعن الأجهوري: الولي في الدنيا كالسيف في غمده، فإذا مات تجرد منه فيكون أقوى في التصرف).

بل وصل الحال ببعضهم أن ألفوا كتباً في الدفاع عن الشرك أو وسائل الشرك، وفي الرد على أهل التوحيد! ومن ذلك كتاب: (إحياء المقبور بأدلة استحباب اتخاذ المساجد والقباب على القبور) لأبي الفيض أحمد بن محمد بن الصديق الغماري الأزهري، وكتاب (إتحاف الأذكىاء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء) لعبد الله بن محمد الغماري، وكتاب (شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق) ليوسف النبهاني، وكتاب (مفاهيم يجب أن تصحح) لمحمد علوي المالكي.

والمطلع بإنصاف على كتب الأشاعرة يجد أن توحيد الألوهية غير واضح المعالم في كتبهم، وأن اهتمامهم بتقرير توحيد الربوبية أكثر من اهتمامهم بتقرير توحيد الألوهية، وقد بحثت في أكثر من خمسين كتاباً مشهوراً من كتب التوحيد والعقائد التي ألفها الأشاعرة فلم أجد فيها قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، ولا قوله سبحانه: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وغالبهم لم يذكروا فيها حديث: «من حلف بغير الله فقد أشرك»، ولا حديث: «الشرك فيكم أخفى من ديب النمل»، ولا حديث: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبوراً أنبيائهم مساجد»!

قال ابن تيمية في الفتاوى الكبرى (٦ / ٥٥٨ - ٥٦٦) مبيناً كلام الأشاعرة في اسم الله الواحد: (اسم الله الواحد له عندهم ثلاثة معان: أحدها: إنه الذي لا ينقسم ولا يتجزأ ولا يتبعض ولا يتعدد ولا يتركب.

والمعنى الثاني: من معاني الواحد عندهم هو الذي لا شبيه له، وهذه الكلمة أقرب إلى الإسلام لكن أجملوها فجعلوا نفي الصفات أو بعضها داخلا في نفي التشبيه، واضطربوا في ذلك على درجات لا تنضب.

والمعنى الثالث: من معاني التوحيد عند الأشعرية أنه سبحانه لا شريك له في الملك، بل هو رب كل شيء، وهذا معنى صحيح، وهو حق، وهو أجود ما اعتصموا به من الإسلام في أصولهم، حيث اعترفوا فيها بأن الله خالق كل شيء ومربيه ومدبره، فهذه المعاني الثلاثة هي التي يقولون أنها معنى اسم الله الواحد، وهي التوحيد، وفيها من البدع التي خولف بها الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة ما قد نبهنا على بعضه.

وأما التوحيد الذي ذكره الله في كتابه وأنزل به كتبه وبعث به رسله وانفق عليه المسلمون من كل ملة فهو كما قال الأئمة: شهادة أن لا إله إلا الله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، كما بين ذلك بقوله: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، فأخبر أن الإله إله واحد، لا يجوز أن يتخذ إله غيره، فلا يعبد إلا إياه، ... والشرك الذي ذكره الله في كتابه إنما هو عبادة غيره من المخلوقات كعبادة الملائكة أو الكواكب أو الشمس أو القمر أو الأنبياء أو تماثيلهم أو قبورهم أو غيرهم من الآدميين ونحو ذلك مما هو كثير في هؤلاء الجهمية ونحوهم ممن يزعم أنه محقق في التوحيد، وهو من أعظم الناس إشراكا، ... قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد: يسألهم من خلق السموات والأرض

فيقولون: الله، وهم مع هذا يعبدون غيره، ويشركون به، ويقولون: له ولد وثالث ثلاثة، ... والإله هو المستحق للعبادة، فأما من اعتقد في الله أنه رب كل شيء وخالقه وهو مع هذا يعبد غيره فإنه مشرك بربه، متخذ من دونه إلهًا آخر، فليست الإلهية هو الخلق أو القدرة على الخلق أو القَدَم كما يفسرها هؤلاء المبتدعون في التوحيد من أهل الكلام، إذ المشركون الذين شهد الله ورسوله بأنهم مشركون من العرب وغيرهم لم يكونوا يشكون في أن الله خالق كل شيء وربهم، فلو كان هذا هو الإلهية لكانوا قائلين إنه لا إله إلا هو، فهذا موضع عظيم جدا ينبغي معرفته لما قد لبس على طوائف من الناس أصل الإسلام، حتى صاروا يدخلون في أمور عظيمة هي شرك ينافي الإسلام لا يحسبونها شركا، وأدخلوا في التوحيد والإسلام أمورًا باطلة ظنوها من التوحيد وهي تنافيه، وأخرجوا من الإسلام والتوحيد أمورًا عظيمة لم يظنوها من التوحيد وهي أصله، فأكثر هؤلاء المتكلمين لا يجعلون التوحيد إلا ما يتعلق بالقول والرأي واعتقاد ذلك دون ما يتعلق بالعمل والإرادة واعتقاد ذلك، بل التوحيد الذي لا بد منه لا يكون إلا بتوحيد الإرادة والقصد، وهو توحيد العبادة، وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، أن يقصد الله بالعبادة، ويريده بذلك دون ما سواه، وهذا هو الإسلام).

### ومن أسباب عدم وضوح المنهج الأشعري في توحيد الألوهية:

السبب الأول: عرّف كثير من الأشاعرة كلمة (إله) بأنه القادر على الاختراع، فجعلوا معنى لا إله إلا الله أي: لا قادر على الخلق إلا الله، والصحيح أن معنى لا إله إلا الله أي: لا معبود بحق إلا الله.

السبب الثاني: الأشاعرة المتأخرون لم يفرّدوا توحيد الألوهية بالتأليف لتأكيدهِ والحث عليه والترغيب فيه، مع أن الحاجة ماسة إلى بيانه، والتحذير مما يضاده، بل إن كثيرا من غلاة الأشاعرة المتأخرين أنكروا التفريق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وسبب هذا الإنكار أن الأشاعرة قرروا توحيد الربوبية، وظنوا أن من حققه لا يتصور منه أن يشرك بالله سبحانه!

السبب الثالث: حمل الأشاعرة المتأخرون الآيات الواردة في توحيد الألوهية على أنها في توحيد الربوبية، بل وأنكروا على من فرّق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، وأنكروا على من ينهى الناس عن دعاء غير الله من الأنبياء والصالحين، وأنكروا على من يحكم على من يدعو غير الله بأنه مشرك، ويكفي في الرد عليهم قول الشوكاني كما في الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني (١/ ١٨٦، ١٨٨): (من يدعو الأموات ويهتف بهم عند الشدائد ويطوف بقبورهم ويطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل لا يصدر منه ذلك إلا عن اعتقاد كاعتقاد أهل الجاهلية في أصنامهم، هذا إن أراد من الميت الذي يعتقد ما كان تطلبه الجاهلية من أصنامهم من تقريبهم إلى الله فلا فرق بين الأمرين؛ وإن أراد استغلال من يدعو من الأموات بأن يعطيه ما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل فهذا أمر لم تبلغ إليه الجاهلية فإنهم قالوا ما حكاه الله عنهم: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر:٣]، ولم يدعوا لأصنامهم أنهم يستقلون بإيصالهم إلى ما يطلبونه دون الله عز وجل، فهذا هو شرك الجاهلية الذي بعث الله لأجله رسله وأنزل فيه كتبه وقاتلتهم الأنبياء عليه، وأما الخلق والرزق والموت والحياة

ونحو ذلك فالجاهلية يقرون في جاهليتهم وقبل بعثة الرسل بأن الله سبحانه هو المستقل بذلك: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]... وبالجملة فإخلاص التوحيد لله عز وجل وقطع علائق الشرك كائنة ما كانت لا تحتاج إلى أن تنتقل فيه أقوال الرجال أو يُستدل عليه بالأدلة فإنه الأمر الذي بعث الله لأجله رسله وأنزل فيه كتبه، وفي هذا الإجمال ما يغني عن التفصيل ومن شك في هذا فعليه بالتفكر في القرآن الكريم فإنه سيجده من أعظم مقاصده وأكثر موارده).

ومع وضوح التوحيد في كتاب الله نجد أن غلاة الأشاعرة جَوَّزُوا الاستغاثة بغير الله، ومن ذلك ما نقله أبو حامد بن مرزوق في كتابه براءة الأشعرين من عقائد المخالفين (٢ / ٢٢٠) عن الشيخ يوسف الدجوي الأشعري مفتي مجلة الأزهر أنه قال في تجويز الاستغاثة بغير الله: (المستغيث لا يعتقد أن المستغاث به من الخلق مستقل في أمر من الأمور غير مستمد من الله تعالى أو راجع إليه، وذلك شيء مفروغ منه، ولا فرق في ذلك بين الأحياء والأموات، فإن الله خالق كل شيء، ولا تأثير عندنا لشيء في شيء بنفسه، فهذا هو ما عليه جماعة أهل الحق).

ويزعم بعض الأشاعرة أن ابن تيمية ابتدع القول بالمنع من التوسل بالأنبياء والصالحين، مع أنه لا يخفى على من يعرف السنة النبوية وما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان أنهم لم يكونوا يتوسلون بذوات الأنبياء

والصالحين، وهذا دعاء الأنبياء والصالحين المذكور في القرآن العظيم، ليس فيه توسل بذوات الأنبياء، وإنما فيه دعاء الله سبحانه وحده، والتوسل إليه بأسمائه.

وهذا الكاساني الحنفي وهو قبل ابن تيمية بأكثر من قرن يقول في كتابه بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (١٢٦ / ٥) ناقلا عن المذهب الحنفي: (يكره للرجل أن يقول في دعائه: أسألك بحق أنبيائك ورسلك، وبحق فلان؛ لأنه لا حق لأحد على الله سبحانه وتعالى جل شأنه).

السبب الرابع: اتفق الأشاعرة على أن الأمر بعبادة الله ليس أول واجب على المكلف، وزعموا أن أول واجب على المكلف: المعرفة، أو النظر، أو القصد إلى النظر المؤدي إلى إثبات وجود الله تعالى، واشتغلوا تصنيفا وتدريسا في تحقيق ما زعموه أنه أول واجب على المكلف، ولم يهتموا كثيرا بتحقيق توحيد الألوهية، والتحذير من الشرك ووسائله.

والمعروف في الكتاب السنة وإجماع السلف أن أول ما يجب على المكلفين هو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وفي صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن قال له: «إنك تأتي

قوما من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله».

قال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٣ / ٩٧ - ١٠١): (وقع الغلط في مسمى التوحيد، فإن عامة المتكلمين الذين يقررون التوحيد في كتب الكلام والنظر: غايتهم أن يجعلوا التوحيد ثلاثة أنواع، فيقولون: هو واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له، وأشهر الأنواع الثلاثة عندهم هو الثالث وهو توحيد الأفعال، وهو أن خالق العالم واحد، ويظنون أن هذا هو التوحيد المطلوب، وأن هذا هو معنى قولنا: لا إله إلا الله، ومعلوم أن المشركين من العرب الذين بعث إليهم محمد صلى الله عليه وسلم أولا لم يكونوا يخالفونه في هذا، بل كانوا يقولون بأن الله خالق كل شيء، ... وليس المراد بالإله هو القادر على الاختراع كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين، حيث ظنوا أن الإلهية هي القدرة على الاختراع دون غيره، وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أن لا إله إلا هو! فإن المشركين كانوا يقولون بهذا وهم مشركون كما تقدم بيانه، بل الإله الحق هو الذي يستحق بأن يُعبد، والتوحيد أن يُعبد الله وحده لا شريك له، والإشراك أن يُجعل مع الله إلهًا آخر).

هذا وإن الناظر في كتب متأخري الأشاعرة يجد تأثرهم الواضح بالصوفية الذين لا يهتمون بتوحيد الله سبحانه، بل إن بعض مؤلفي الأشاعرة من دعاة الصوفية، وغلا بعضهم في الأولياء غلوا عظيما، حتى جوزوا الاستغاثة بهم،

وذكروا في كتبهم كثيرا من الخرافات والحكايات العجيبة التي ينقلونها عن مجهولين أو مجروحين، ويعتمدون عليها في العقيدة، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

(١) قال محمد السبأوي الأشعري المعروف بالأمير في إتحاف المرید شرح جوهرة التوحيد (ص: ٢٥٣): (في آخر (الأنوار القدسية في قواعد الصوفية) للشعراني ما نصه: طلب بعض الفقراء من سيدي عبد العزيز الديريني رضي الله تعالى عنه وقوع كرامة، فقال لهم: يا أولادي وهل ثمَّ كرامة لعبد العزيز أعظم من أن الله تعالى يمسك به الأرض ولا يخسفها به، وقد استحق الخسف به منه منذ أزمان متعددة؟!).

(٢) قال الباجوري في تحفة المرید على جوهرة التوحيد (ص: ٢٥٢): (اعتقد ثبوت الكرامة للأولياء بمعنى جوازها ووقوعها لهم في الحياة وبعد الموت كما ذهب إليه جمهور أهل السنة، وليس في مذهب من المذاهب الأربعة قول بنفيها بعد الموت، بل ظهورها حينئذ أولى؛ لأن النفس حينئذ صافية من الأكدار، ولذا قيل: من لم تظهر كرامته بعد موته كما كانت في حياته فليس بصادق، وقال الشعراني: ذكر لي بعض المشايخ أن الله تعالى يوكل بقبر الولي ملكا يقضي الحوائج، وتارة يخرج الولي من قبره ويقضيها بنفسه!).

والحكايات الغريبة في كتب الأشاعرة الصوفية المتأخرين كثيرة جدا، ومن نظر في كتاب (الطبقات الكبرى) للشعراني الأشعري يجد العجب العجاب من

الحكايات التي يذكرها بلا إسناد، أو يرويها عن مجاهيل، ويجزم العاقل السوي ببطلان أكثرها، وفيها ما يستحي الإنسان من ذكرها للعامّة، ولا بأس أن أنقل هنا للقارئ الكريم نقلين من تلك الخرافات:

٣) قال الشعراني في الطبقات الكبرى (٢ / ٩٢): (ومنهم سيدي الشيخ محمد بن أحمد الفرغلي رضي الله تعالى عنه، المدفون بالصعيد، كان رضي الله عنه من الرجال المتمكنين أصحاب التصريف، ومن كراماته رضي الله عنه: أن امرأة اشتهدت الجوز الهندي فلم يجدوه في مصر فقال: للنقيب مخيمر: يا مخيمر ادخل هذه الخلوة، واقطع لها خمس جوزات من الشجرة التي تجدها في داخل الخلوة، فدخل فوجد شجرة جوز، فقطع لها منها خمس جوزات، ثم دخل بعد ذلك فلم يجد شجرة! وخطف التمساح بنت مخيمر النقيب، فجاء وهو يبكي إلى الشيخ، فقال له: اذهب إلى الموضع الذي خطفها منه، وناد بأعلى صوتك: يا تمساح تعال كلم الفرغل، فخرج التمساح من البحر، إلى أن وقف على باب الدار، فأمر الشيخ رضي الله عنه الحداد بقلع جميع أسنانه، وأمره بلفظها من بطنه، فلفظ البنت حية مدهوشة! وأخذ على التمساح العهد أن لا يعود يخطف أحدا من بلده ما دام يعيش، ورجع التمساح ودموعه تسيل حتى نزل البحر، وكان رضي الله عنه يقول: كثيرا كنت أمشي بين يدي الله تعالى تحت العرش، وقال لي: كذا، وقلت له: كذا! فكذبه شخص من القضاة، فدعا عليه بالخرس فخرس حتى مات!).

٤) قال الشعراني في الطبقات الكبرى (٢ / ١٢٩) في ترجمة ولي من أولياء الصوفية يسمى وحيشا: (كان رضي الله عنه من أعيان المجاذيب أرباب الأحوال، وكان يأتي مصر، والمحلة، وغيرهما من البلاد، وله كرامات، وخوارق، واجتمعت به ... وأخبرني الشيخ محمد الطنخي رحمه الله تعالى قال: كان الشيخ وحيش رضي الله عنه يقيم عندنا في المحلة في خان بنات الخَطَا، وكان كل من خرج يقول له: قف حتى أشفع فيك عند الله قبل أن تخرج فيشفع فيه، وكان إذا رأى شيخ بلد أو غيره يُنزلُه من على الحِمارة، ويقول له: أمسك رأسها لي حتى أفعل فيها! فإن أبي شيخ البلد تسمّر في الأرض لا يستطيع يمشي خطوة، وإن سمح حصل له خجل عظيم، والناس يمرون عليه، وكان له أحوال غريبة).

يعجب الإنسان من كتابة بعض الناس مثل هذه الخرافات؟! وأعجب منه من ينقلها على أنها من العلم ويصدّق بها! وأعجب منه من يُنكر على من لا يُصدّق بها! اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع!

#### د- تكفير بعض الأشاعرة لأهل السنة وللمخالفين للمذهب الأشعري.

شنع العلماء على توسع الأشاعرة في تكفير المسلمين، فقال الهروي فيما نقله عنه ابن تيمية: (وأبطلوا التقليد، فكفّروا آباءهم وأمهاتهم وأزواجهم وعوام المسلمين، وأوجبوا النظر في الكلام، ... فكفّروا السلف!). ينظر: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٤ / ٤١٤).

وقال أبو العباس القرطبي في المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/٦٩٣): (لو لم يكن في الكلام شيء يذم به إلا مسألتان هما من مبادئه، لكان حقيقا بالذم، وجديرا بالترك: إحداهما: قول طائفة منهم: إن أول الواجبات الشك في الله تعالى! والثانية: قول جماعة منهم: إن من لم يعرف الله تعالى بالطرق التي طرقوها، والأبحاث التي حرروها، فلا يصح إيمانه، وهو كافر! فيلزمهم على هذا تكفير أكثر المسلمين من السلف الماضين، وأئمة المسلمين، وأن من يبدأ بتكفيره أباه وأسلافه وجيرانه).

وإن من أغرب ما في المذهب الأشعري إنكار كون الأسباب العادية تؤثر في مسيبتها! فينكرون مثلا أن الأكل مشبع، وأن الماء مروي، وأن النار محرقة بطبعها الذي خلقه الله عليها، فخالفوا العقلاء في تأثير الأسباب، قال ابن تيمية في منهاج السنة النبوية (٣/١٢، ١٣): (جمهور أهل السنة يقولون: إن العبد فاعل لفعله حقيقة، وأن له قدرة حقيقية واستطاعة حقيقية، ولا ينكرون تأثير الأسباب الطبيعية، بل يقرون بما دل عليه الشرع والعقل من أن الله ينبت النبات بالماء، ولا يقولون: إن القوى والطبائع الموجودة في المخلوقات لا تأثير لها، بل يقرون أن لها تأثيرا لفظا ومعنى، يقولون: هذا التأثير هو تأثير الأسباب في مسيبتها، والله تعالى خالق السبب والمسبب، ومع أنه خالق السبب فلا بد له من سبب آخر يشاركه، ولا بد له من معارض يمانعه، فلا يتم أثره مع خلق الله له إلا بأن يخلق الله السبب الآخر، ويزيل الموانع).

ولم يكتف الأشاعرة بإنكار أثر الأسباب، بل كَفَّرَ بعض غلاة الأشاعرة من خالفهم في هذه المسألة!

قال السنوسي الأشعري كما في كتاب حواش على شرح الكبرى للسنوسي (ص: ١٨٣، ١٨٤): (قال ابن دهاق في شرح الإرشاد حين تعرض لأصناف الشرك: ... الثاني: ما أضيف من أفعال بعض إلى بعض، من أن النار تحرق، والطعام يشبع، والثوب يستر، إلى غير ذلك من ربط المعتادات حتى ظنوها واجبة، وتلك ضلالة تبع الفيلسوفي فيها كثير من عامة المسلمين. قلت: بل وكثير من المتفقيين المشتغلين بما لا يعينهم من العلوم، وعن مرآشدهم عمين، قال: وهم فيها على اعتقادات، فمن قال بطبعها تفعل فلا خلاف في كفره، ومن قال: بقوة جعلها الله فيها كان مبتدعا، وقد اختلف الناس في كفره. قلت: وهذا القسم هو اعتقاد أكثر عامة المتفقيين في زماننا، ومن في معناهم من جهلة المقلدين قال: ومن قال: إن الأكل دليل عقلي على الشبع دون أن يكون معتادا كان جاهلا بمعنى الدلالة العقلية، ومن علم أن الله سبحانه وتعالى ربط بعض أفعاله ببعض، وكلما فعل هذا فعل هذا باختياره، وإذا شاء خرق هذه العادة فعل، فهذا هو المؤمن الذي سلم من هذه الآفة بفضل سبحانه وتعالى).

#### هـ - ارتباط المذهبين الفقهيين الشافعي والمالكي بالمذهب الأشعري.

كان قدماء فقهاء الشافعية والمالكية على مذهب أهل السنة، ولما ظهر المذهب الأشعري صرح بعض قدماء الشافعية والمالكية بالتحذير منه.

قال محمد بن خواز منداد المصري المالكي (ت ٣٩٠هـ) تقريبا: (أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام، فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع، أشعريا كان أو غير أشعري، ولا تُقبل له شهادة في الإسلام، ويُهجر ويُؤدب على بدعته، فإن تمادى عليها استتيب منها). نقله عنه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٤٢).

وقال القاضي ابن سريج (ت ٣٠٦هـ) إمام الشافعية في زمن الأشعري: (نفسر ما فسره النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون والأئمة المرضيون من السلف المعروفين بالدين والأمانة، ونجمع على ما أجمعوا عليه، ونمسك عن ما أمسكوا عنه، ونسلم الخبر الظاهر والآية الظاهر تنزيلها، لا نقول بتأويل المعتزلة والأشعرية والجهمية والملحدة والمجسمة والمشبهة والكرامية والكيفية، بل نقبلها بلا تأويل، ونؤمن بها بلا تمثيل، ونقول: الإيمان بها واجب، والقول بها سنة، وابتغاء تأويلها بدعة. آخر كلام أبي العباس بن سريج الذي حكاه أبو القاسم سعيد بن علي الزنجاني في أجوبته، ثم ذكر باقي المسائل وأجوبتها). يُنظر: جزء فيه أجوبة في أصول الدين لأبي العباس بن سريج (ص ٨٦-٨٧).

وقال يحيى بن أبي الخير العمراني (ت ٥٥٨هـ) شيخ الشافعية في بلاد اليمن في كتابه الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (١/ ٩٥، ٩٦): (أدخلت المعتزلة والقدرية على الإسلام وأهله شبها في الدين ليموهوا بها على العوام، ومن لا خبرة له بأصولهم التي بنوا عليها أقوالهم، فاتبعوا متشابه القرآن،

وأولوا القرآن على خلاف ما نقل عن الصحابة والتابعين المشهورين بالتفسير، لينفقوا بذلك أقوالهم، فهم أشد الفرق ضرراً على أصحاب الحديث، ثم بعدهم الأشعرية؛ لأنهم أظهروا الرد على المعتزلة وهم قائلون بقولهم).

فهذا بعض كلام أئمة الشافعية والمالكية المتقدمين في ذم مذهب الأشاعرة، ثم لما انتشر المذهب الأشعري، ودعا إليه أعلام مشهورون من أئمة المذهب المالكي والشافعي صار أغلب فقهاء الشافعية والمالكية المتأخرين أشاعرة، وصاروا يعتقدون أن المذهب الأشعري هو مذهب أهل السنة.

ففتن كثير من العلماء وطلاب العلم بالمذهب الأشعري لفضل الإمام أبي الحسن الأشعري وأعلامه الذين طوروا المذهب الأشعري، وصاروا من الدعاة إليه أو من المتأثرين به، ولهم جهود عظيمة جدا في الرد على كثير من أهل البدع والأهواء، ولهم أثر كبير لا يُنكر في مختلف العلوم النافعة من التفسير والحديث والقراءات والفقه وأصول الفقه والنحو وغير ذلك، فلم يميز كثير من الناس بين العلوم النافعة التي نقلها هؤلاء العلماء الأجلاء، وبين البدع التي وافقوا فيها أهل الكلام أو تأثروا فيها بالفلاسفة والمعتزلة، لا سيما وكثير من الناس لم يطلع على كتب العقائد التي ألفها علماء أهل السنة، وبينوا فيها عقيدة السلف أصحاب الحديث، العقيدة الصحيحة الموافقة لكتاب الله وسنة رسوله، وما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وبعضهم له اطلاع عليها، لكن تقرر عنده أن طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أحكم وأعلم، فعظمت الفتنة،

وانتشرت البدعة، ونسأل الله أن يغفر لنا ولجميع المسلمين، وأن يهدينا إلى الصراط المستقيم.

ثم في عصرنا الحاضر اهتم كثير من طلاب العلم بالحديث النبوي والعقيدة الصحيحة التي كان عليها السلف الصالح، وتمسك بها - بتوفيق الله وفضله - كثير من العلماء وطلاب العلم حتى من المنتسبين إلى المذهب الشافعي والمالكي والحنفي، وهي العقيدة الموافقة للفطرة، الخالية من تكلفات أهل البدع، قال علامة اليمن محمد بن إبراهيم الوزير في كتابه إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق (ص: ١٣٠): (المسلم بالفطرة ينكر هذه البدع، وبالرسوخ في علم الحديث يعلم بالضرورة حدوثها، وأن عصر النبوة والصحابة بريء منها، مثل ما يعلم أن المعتزلة أبرياء من مذهب الأشعرية، وأن الأشعرية أبرياء من مذهب المعتزلة).

## المبحث الرابع:

### تراجم أشهر أعلام الأشاعرة الذين طوروا

#### المذهب الأشعري

قال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (١٦ / ٤٧١): (الأشعري وأمثاله برزخ بين السلف والجهمية، أخذوا من هؤلاء كلاما صحيحا، ومن هؤلاء أصولا عقلية ظنوها صحيحة وهي فاسدة، فمن الناس من مال إليه من الجهة السلفية، ومن الناس من مال إليه من الجهة البدعية الجهمية كأبي المعالي وأتباعه، ومنهم من سلك مسلكهم كأئمة أصحابهم).

وقال ابن تيمية في شرح العقيدة الأصفهانية (ص: ١٢٧): (كثير من متأخري أصحاب الأشعري خرجوا عن قوله إلى قول المعتزلة أو الجهمية أو الفلاسفة). والناظر في كتب الأشاعرة بعلم وإنصاف يجد تأثر الأشاعرة بالجهمية واضحا، ويجد مخالفة متأخري الأشاعرة لقول أئمتهم المتقدمين كأبي الحسن الأشعري، وتأمل هذا النقل عن أبي المعالي الجويني في تأويله صفة الاستواء لله سبحانه، قال الجويني في كتابه الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص: ٦٠، ٦١): (لم يمتنع منا حمل الاستواء على القهر والغلبة، وذلك شائع في اللغة، إذ العرب تقول: استوى فلان على الممالك إذا احتوى على مقاليد

الملك، واستعلى على الرقاب، وفائدة تخصيص العرش بالذكر أنه أعظم المخلوقات في ظن البرية، فنص تعالى عليه تنبيهاً بذكره على ما دونه).

وقال أبو المعالي أيضاً في كتابه الإرشاد (ص: ١٧٥): (ذهب بعض أئمتنا إلى أن اليدين والعينين والوجه صفات ثابتة للرب تعالى، والسبيل إلى إثباتها السمع دون قضية العقل، والذي يصح عندنا حمل اليدين على القدرة، وحمل العينين على البصر، وحمل الوجه على الوجود).

فهذا الذي صححه الجويني موافق لقول الجهمية، وهو الذي اعتمده الأشاعرة المتأخرون، مع مخالفته الصريحة لأئمتهم المتقدمين الذين يعظمونهم، فتأمل هذه النقول عن أبي الحسن الأشعري والباقلاني في إثبات الصفات وعدم تأويلها:

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله في كتابه الإبانة عن أصول الديانة (ص: ١١٣): (قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [السجدة:٤] يدل على أنه تعالى في السماء مستو على عرشه، والسماء بإجماع الناس ليست الأرض، فدل على أنه تعالى منفرد بوحدانيته، مستو على عرشه استواء منزها عن الحلول والاتحاد).

وقال أبو الحسن الأشعري أيضاً في كتابه الإبانة عن أصول الديانة (ص: ١٢١ - ١٢٧): (أخبر تعالى أن له وجهاً وعينا ولا تكيف ولا تحد ... ونفى الجهمية أن يكون لله تعالى وجه كما قال، وأبطلوا أن يكون له سمع وبصر وعين ... فمن سألنا فقال: أتقولون إن لله سبحانه وجهاً؟ قيل له: نقول ذلك، خلافاً لما قاله المبتدعون ... قد سئلنا أتقولون: إن لله يدين؟ قيل: نقول ذلك بلا

كيف، فثبتت اليد بلا كيف، ... وليس يجوز في لسان العرب، ولا في عادة أهل الخطاب، أن يقول القائل: عملت كذا بيدي، ويعني به النعمة، وإذا كان الله عز وجل إنما خاطب العرب بلغتها، وما يجري مفهوما في كلامها، ومعقولا في خطابها، وكان لا يجوز في خطاب أهل اللسان أن يقول القائل: فعلت بيدي، ويعني النعمة؛ بطل أن يكون معنى قوله تعالى: ﴿بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] النعمة).

وقال الباقلاني رحمه الله في كتابه تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل (ص: ٢٩٥ - ٢٩٩): (باب في أن لله وجهها ويدين، فإن قال قائل: فما الحجة في أن لله عز وجل وجهها ويدين؟ قيل له: قوله تعالى: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِإِيْدَيْ﴾ [ص: ٧٥]، فأثبت لنفسه وجهها ويدين، فإن قالوا: فما أنكرتم أن يكون المعنى في قوله: ﴿خَلَقْتَ بِإِيْدَيْ﴾ أنه خلقه بقدرته أو بنعمته؛ لأن اليد في اللغة قد تكون بمعنى النعمة، وبمعنى القدرة، كما يقال: لي عند فلان يد بيضاء يراد به نعمة؟ يقال لهم: هذا باطل؛ لأن قوله: ﴿بِيْدَيْ﴾ يقتضي إثبات يدين هما صفة له، فلو كان المراد بهما القدرة لوجب أن يكون له قدرتان، وأنتم فلا تزعمون أن للباري سبحانه قدرة واحدا، فكيف يجوز أن تثبتوا له قدرتين؟ وقد أجمع المسلمون من مشبي الصفات والنافين لها على أنه لا يجوز أن يكون له تعالى قدرتان، فبطل ما قلتم، وكذلك لا يجوز أن يكون الله تعالى خلق آدم بنعمتين؛ لأن نعم الله تعالى على آدم وعلى غيره لا تحصى ... صفات ذاته هي التي لم يزل ولا يزال موصوفا بها، وهي

الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة والبقاء والوجه والعينان واليدان، والغضب والرضى وهما الإرادة).

ويَدَّعي بعض الأشاعرة أن أبا الحسن الأشعري والباقلاني ونحوهما من المتقدمين يريدون بكلامهم تفويض المعنى، ولا يريدون إثبات الصفات، وليس الأمر كما زعموا، فتأمل ما تقدم قريبا من قول أبي الحسن: (وإذا كان الله عز وجل إنما خاطب العرب بلغتها، وما يجري مفهوما في كلامها، ومعقولا في خطابها، وكان لا يجوز في خطاب أهل اللسان أن يقول القائل: فعلت بيدي، ويعني النعمة؛ بطل أن يكون معنى قوله تعالى: ﴿بِيَدَيَّ﴾ النعمة)، وتأمل كيف ذكر الباقلاني في كلامه الأخير الصفات الذاتية من غير تأويل لمعناها، وإنما أول صفة الغضب والرضا، وهو وإن خالف في تأويلهما السلف الصالح الذين لا يؤلوهما فقد أثبت غالب الصفات كما يثبتها السلف الصالح، ولم يفوض معناها ولم يؤولها.

وقد وصل الحال بالأشاعرة المتأخرين إلى موافقة الجهمية في إنكارهم أن الله سبحانه مستو على عرشه كما أخبر في كتابه، وخالفوا أبا الحسن الذين يتسبون إليه، وقالوا قولهم العجيب الغريب الذي لا يعرفه أحد من الصحابة والتابعين وأتباعهم: إن الله ليس بداخل العالم ولا خارجه، ولا فوق ولا تحت! يُنظر: الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (ص: ٣٧)، أساس التقديس في علم الكلام للفخر الرازي (ص: ١٩)، المواقف للإيجي مع شرح الجرجاني (٣/ ٣١)، براءة الأشعريين من عقائد المخالفين للحامدي (١/ ٨٢)، ويُنظر رسالة:

نقض قول من تبع الفلاسفة في دعواهم أن الله لا داخل العالم ولا خارجه  
لمحمد بن عبد الرحمن الخميس.

وهذه تراجم أشهر أعلام الأشاعرة الذين طوروا المذهب  
الأشعري:

١ - القاضي أبو بكر محمد بن الطيب المعروف بابن الباقلاني، (ت ٤٠٣هـ)

قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٣ / ٣٦٤): (محمد بن الطيب بن  
محمد أبو بكر القاضي المعروف بابن الباقلاني المتكلم على مذهب الأشعري  
من أهل البصرة، سكن بغداد، وسمع بها الحديث، وكان ثقة، فأما علم الكلام  
فكان أعرف الناس به، وأحسنهم خاطراً، وأجودهم لساناً، وأوضحهم بياناً،  
وأصحهم عبارة، وله التصانيف الكثيرة المنتشرة في الرد على المخالفين من  
الرافضة، والمعتزلة، والجهمية، والخوارج، وغيرهم. سمعت أبا الفرج محمد  
بن عمران الخلال يقول: كان ورد القاضي أبي بكر محمد بن الطيب في كل ليلة  
عشرين ترويحاً، ما تركها في حضر ولا سفر. قال: وكان كل ليلة إذا صلى  
العشاء وقضى ورده وضع الدواة بين يديه وكتب خمسا وثلاثين ورقة تصنيفاً  
من حفظه، فإذا صلى الفجر دفع إلى بعض أصحابه ما صنّفه في ليلته، وأمره  
بقراءته عليه، وأملى عليه الزيادات فيه. قال أبو الفرج: وسمعت أبا بكر  
الخوارزمي يقول: كل مصنف ببغداد إنما ينقل من كتب الناس إلى تصانيفه  
سوى القاضي أبي بكر، فإن صدره يحوي علمه وعلم الناس! حدثنا علي بن  
محمد بن الحسن الحربي المالكي قال: كان القاضي أبو بكر الأشعري يهيم بأن

يختصر ما يصنفه، فلا يقدر على ذلك؛ لسعة علمه، وكثرة حفظه، قال: وما صنف أحد خلافاً إلا احتاج أن يطالع كتب المخالفين غير القاضي أبي بكر، فإن جميع ما كان يذكر خلاف الناس فيه صنفه من حفظه).

وعده أبو الحسن محمد بن الفتح السلمي مجدد المائة الرابعة، ووافقه على ذلك ابن عساكر. يُنظر: تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري (ص: ٥٣، ٥٤)

وقال عنه الذهبي في تاريخ الإسلام (٩ / ٦٣): (صاحب التصانيف في علم الكلام، سكن بغداد، وكان في فنه أوجد زمانه، وكان ثقة عارفاً بعلم الكلام، صنف في الرد على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجهمية، وذكره القاضي عياض في طبقات الفقهاء المالكية فقال: هو الملقب بسيف السنة، ولسان الأمة، المتكلم على لسان أهل الحديث وطريق أبي الحسن الأشعري، وإليه انتهت رئاسة المالكيين في وقته، وكان له بجامع المنصور حلقة عظيمة. قلت: وقد أخذ ابن الباقلاني علم النظر عن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مجاهد الطائي صاحب الأشعري).

وقال ابن خلدون في تاريخه (١ / ٥٨٩): (كثير أتباع الشيخ أبي الحسن الأشعري، واقتفى طريقته من بعده تلاميذه كابن مجاهد وغيره، وأخذ عنهم القاضي أبو بكر الباقلاني، فتصدر للإمامة في طريقتهم، وهذبا، ووضع المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة والأنظار، ... وجعل هذه القواعد

تبعاً للعقائد الإيمانية في وجوب اعتقادها؛ لتوقف تلك الأدلة عليها، وأن بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول).

ويتبين من كتب الباقلاني رحمه الله أنه يثبت صفات الله تعالى، ولا يفرق بين الصفات العقلية والصفات الخبرية، وهو كأبي الحسن الأشعري لا يقتصر على إثبات الصفات السبع كما هو مشهور عند الأشاعرة المتأخرين، ومن ذلك إثباته صفة العلو والاستواء لله تعالى موافقة للأشعري، وخالف الأشعري فأثبت صفة البقاء لله سبحانه، وذهب الباقلاني إلى أن كلام الله معنى قائماً بنفسه، وليس بحرف ولا صوت، وينفي الباقلاني تعليل أفعال الله كما هو قول الأشاعرة، ويرى إنكار السببية، فالإحراق عنده لا يكون بالنار، وإنما يقع عندها لا بها، وهذا مبدأ السببية الذي اشتهر إنكاره عند الأشاعرة، ويعتبر الباقلاني المؤسس الثاني للمذهب الأشعري، وقد أخذ الباقلاني علم الكلام عن أصحاب الأشعري، ومع كون تلامذة الأشعري ذوي تأثير واسع إلا أنه لم يبلغ أحد منهم ما وصل إليه الباقلاني من تجريده نفسه لنصرة مذهب أبي الحسن الأشعري وتطويره.

### وقد طور الباقلاني المذهب الأشعري من خلال:

١- وضع المقدمات العقلية لمباحث العقيدة وعلم الكلام، مثل مباحث الجوهر والعرض، وأقسام العلوم، والاستدلال، والكلام عن الموجودات وأنواعها.

٢- الميل في المناقشات إلى العقل، وضعف الاعتماد على النقل.

٣- الميل إلى بعض أقوال المعتزلة، خاصة في بعض الصفات، فقرب المذهب الأشعري من أهل الكلام، وقعد بعض القواعد الكلامية التي كانت سببا في تطور المذهب الأشعري إلى ما يقارب مذاهب الفلاسفة والجهمية في بعض المسائل العقدية.

## ٢- أبو منصور البغدادي عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي، (ت ٤٢٩هـ)

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٧ / ٥٧٢): (العلامة، البارع، المتفنن، الأستاذ، أبو منصور البغدادي، نزيل خراسان، وصاحب التصانيف البديعة، وأحد أعلام الشافعية، حدث عنه: أبو بكر البيهقي، وأبو القاسم القشيري، وخلق، وكان أكبر تلامذة أبي إسحاق الإسفراييني، وكان يدرس في سبعة عشر فنا، ويضرب به المثل).

وقال عبد الرحمن المحمود في كتابه موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢ / ٥٧٢): (البغدادي أحد أعلام الأشاعرة في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس، وله ترجيحات خاصة تعتبر منعطف في تطور المذهب الأشعري).

## وقد طور أبو منصور البغدادي المذهب الأشعري من خلال:

- ١- مخالفته لبعض أقوال أبي الحسن الأشعري.
- ٢- تبني بعض أدلة المعتزلة مثل دليل حدوث الأجسام.
- ٣- تأويل البغدادي صفة الاستواء لله سبحانه، مع أنه رد على المعتزلة الذين أولوا الاستواء بالاستيلاء، وعرض أقوال أصحابه الأشاعرة، ثم صحح تأويل العرش بمعنى الملك، كأنه أراد أن الملك ما استوى لأحد غيره،

وذكر أن معنى آية الاستواء: على الملك استوى، أي استوى الملك للإله،  
ونفى صفة العلو لله سبحانه.

٤- تأويل البغدادي صفات الوجه والعين واليدين ونحوها من الصفات  
الخبرية التي أثبتها أبو الحسن الأشعري وابن الباقلاني.

٥- عرض البغدادي في كتابيه (الفرق بين الفرق) و (الملل والنحل) مذهب  
الأشاعرة على أنه مذهب أهل السنة والجماعة، وقد عرض البغدادي أقوال  
الفرق بمنهج واضح ومرتب، واعتمد على حديث الافتراق الوارد، ثم  
حصر أعداد الفرق لتوافق ما في الحديث، فذكر اثنتين وسبعين فرقة، ثم  
الفرقة الثالثة والسبعين، وهي الفرقة الناجية الواردة في الحديث، وجعلها  
فرقة أهل السنة والجماعة، وذكر أن أصناف أهل السنة والجماعة على  
مذهب أبي الحسن الأشعري، فذكر منهم المتكلمين الذين تبرؤا من  
التشبيه والتعطيل، وذكر منهم أئمة الفقه من فريق أهل الرأي وأهل  
الحديث، وأدخل فيهم أصحاب المذاهب الأربعة وأهل الظاهر وغيرهم،  
وذكر منهم أهل الأدب والنحو والتصريف واللغة، فذكر أعلامهم، وذكر  
منهم علماء القراءات والتفسير، وذكر منهم الزهاد والصوفية، والمرابطين  
في الثغور، وعامة البلدان التي غلب فيها شعار أهل السنة، وبنسبة هذه  
الأصناف كلها إلى مذهب الأشاعرة يكون البغدادي قد ادّعى أن انتشار  
المذهب الأشعري عند هؤلاء دليل على أنه الحق، بل إن البغدادي عد  
أعلام الصحابة والسلف من المتكلمين، فذكر أن منهم علي بن أبي طالب

رضي الله عنه لأنه ناظر الخوارج، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما لتبرئه من القدرية، وعمر بن عبد العزيز، وزيد بن علي بن الحسين، والحسن البصري، والزهري، والشعبي، وجعفر الصادق، وعد من المتكلمين أبا حنيفة، والشافعي، وأبا يوسف القاضي، ثم ذكر أعلام الكلابية والأشعرية الذين سبقوه أو عاصروه، وبهذا المنهج المتميز الذي لم يكن معهوداً في مؤلفات ذلك العصر، مع حسن العرض والترتيب والتبويب، استطاع البغدادي أن ينشر بين الناس أن المذهب الأشعري هو المذهب الصحيح، وأنه المذهب الذي يتبناه أعلام المسلمين من الصحابة والتابعين وأئمة الدين من الفقهاء والقراء والمفسرين وغيرهم، وقرر أن الأشاعرة ليسوا فرقة من فرق المسلمين، وإنما عقيدتهم هي عقيدة جمهور أهل السنة من المسلمين. يُنظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة للمحمود (٢/ ٥٧٤ - ٥٨٠) باختصار وتصرف. ويُنظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص: ٤ - ٢٠، ٢٠٠، ٣٠٤ - ٣٥٤).

وبهذا يتبين أن انتشار المذهب الأشعري كان بواسطة أعلامه الذين كانوا من أئمة العلم ومن أهل الفصاحة والبيان، ولهم الردود العظيمة على كثير من أهل البدع كالمعتزلة والرافضة، واجتهدوا في دعوة الناس إلى المذهب الأشعري على أنه مذهب أهل السنة والجماعة، ووقع لبعضهم في مؤلفاتهم زلات وأوهام ظنوها من الدين، فعظمت الفتنة بهم، كما يقال: زلة العالم زلة عالم.

٣- أحمد بن الحسين البيهقي، (ت ٤٥٨هـ)

قال الذهبي في تاريخ الإسلام (١٠ / ٩٥): (الإمام أبو بكر البيهقي، مصنف (السنن الكبير)، و (السنن الصغير)، و (السنن والآثار)، و (دلائل النبوة)، و (شعب الإيمان)، و (الأسماء والصفات)، وغير ذلك. كان واحد زمانه، وفرد أقرانه، وحافظ أوانه، ومن كبار أصحاب أبي عبد الله الحاكم. أخذ مذهب الشافعي عن أبي الفتح المروزي وغيره، وبرع في المذهب، وشيوخه أكثر من مائة شيخ، بورك له في مروياته، وحسن تصرفه فيها، لحذقه وخبرته بالأبواب والرجال، وبعد صيته، وقيل: إن تصانيفه ألف جزء، وأقام مدة بيهق يصنف كتبه، ثم طُلب إلى نيسابور لنشر العلم بها فأجاب، وذلك في سنة إحدى وأربعين وأربعمائة فاجتمع الأئمة وحضروا مجلسه لقراءة تصانيفه، جمع نصوص الشافعي، واحتج لها بالكتاب والسنة. قال عبد الغافر: كان على سيرة العلماء، قانعا من الدنيا باليسير، متجملا في زهده وورعه، وقال إمام الحرمين: ما من شافعي إلا وللشافعي عليه منة إلا البيهقي، فإن له على الشافعي منة؛ لتصانيفه في نصرة مذهبه).

والبيهقي رحمه الله يوافق مذهب الأشاعرة في كثير من مسائل الاعتقاد، فإنه ذهب إلى تأويل بعض الصفات، وتفويض معاني بعضها الآخر، ولعله أول من نسب التفويض إلى مذهب السلف الصالح كما في كتابه الاعتقاد (ص: ١١٧)، وقرر البيهقي اتباعا للأشاعرة أن كلام الله ليس بصوت ولا حرف، وهو يثبت صفة الوجه، واليدين، والعين لله سبحانه بلا تأويل كما هو قول متقدمي

الأشاعرة. يُنظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢ / ٢٩)، الاعتقاد للبيهقي (ص: ٧١، ٨٨)، البيهقي وموقفه من الإلهيات للغامدي (ص: ٣٢٢ - ٣٧٣، ٤٠٩ - ٤١٢).

قال ابن تيمية في شرح العقيدة الأصفهانية (ص: ١٢٧): (الحافظ أبو بكر البيهقي وأمثاله أقرب إلى السنة من كثير من أصحاب الأشعري المتأخرين الذين خرجوا عن كثير من قوله إلى قول المعتزلة أو الجهمية أو الفلاسفة).

#### ٤ - أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري، (ت ٤٦٥هـ)

قال الذهبي في تاريخ الإسلام (١٠ / ٢١٧، ٢١٨): (شيخ خراسان، وأستاذ الجماعة، ومقدم الطائفة، قرأ الأدب والعربية، وحضر مجلس الأستاذ أبي علي الدقاق، وكان واعظ وفتي، فقبله الدقاق وأقبل عليه، وأشار عليه بتعلم العلم، فتفقه، ثم اختلف إلى الأستاذ أبي بكر بن فورك الأصولي، فأخذ عنه الكلام والنظر، حتى بلغ فيه الغاية، ثم اختلف إلى أبي إسحاق الإسفراييني، ونظر في تواليه ابن الباقلاني، ثم زوجه أبو علي الدقاق بابنته، فلما توفي أبو علي عاشر أبا عبد الرحمن السلمى الصوفى وصحبه، وانتهت إليه رياسة التصوف فى زمانه؛ لما آتاه الله من الأحوال والمجاهدات، وتربية المريدين وتذكيرهم، فكان عديم النظر فى ذلك، طيب النفس، لطيف الإشارة، غواصا على المعاني، وكان إماما قدوة، مفسرا، محدثا، فقيها، متكلما، نحويا، كاتبا، شاعرا، قال أبو سعد السمعاني: لم ير أبو القاسم مثل نفسه فى كماله وبراعته، قال الخطيب البغدادي: كتبنا عنه وكان ثقة، وكان يقص، وكان حسن الموعظة، مليح الإشارة، وكان

يعرف الأصول على مذهب الأشعري، والفروع على مذهب الشافعي. قال القاضي شمس الدين ابن خلكان: صنف أبو القاسم القشيري التفسير الكبير، وهو من أجود التفاسير، وصنف الرسالة في رجال الطريقة، وحج مع البيهقي وأبي محمد الجويني، وكان له في الفروسية واستعمال السلاح يد بيضاء).

وهذه بعض النقول من كتب القشيري تبين تأويله الصفات، ودعوته إلى التصوف:

(١) قال القشيري في كتابه لطائف الإشارات (٣ / ٦١٤) في تفسير قوله تعالى: ﴿ءَأْمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ﴾ [الملك: ١٦] ﴿مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ أراد بهم الملائكة الذين يسكنون السماء، فهم موكلون بالعذاب، وخوفهم بالملائكة أن ينزلوا عليهم العقوبة من السماء، أو يخسفوا بهم الأرض، وكذلك خوفهم أن يرسلوا عليهم حجارة كما أرسلوا على قوم لوط).

(٢) قال القشيري كما في الرسالة القشيرية (١ / ٢٩): (سئل الشبلي عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] فقال: الرحمن لم يزل، والعرش محدث، والعرش بالرحمن استوى. وسئل جعفر بن نصير عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] فقال: استوى علمه بكل شيء، فليس شيء أقرب إليه من شيء. ورأيت بخط الأستاذ أبي علي أنه قيل لصوفي: أين الله؟ فقال: أسحقتك الله! تطلب مع العين أين؟!).

(٣) قال القشيري في رسالته المشهورة (١ / ٣٢، ٣٣): (ليس يشبهه شيئاً من المصنوعات، ولا يشبهه شيء من المخلوقات، ليس بجسم، ولا جوهر،

ولا عرض، ولا صفاته أعراض، ولا يتصور في الأوهام، ولا يتقدر في العقول، ولا له جهة ولا مكان، ولا يجري عليه وقت وزمان، ولا يجوز في وصفه زيادة ولا نقصان، ولا يخصه هيئة وقد، ولا يقطعه نهاية وحد، ولا يحله حادث، ولا يحمله على الفعل باعث، ولا يجوز عليه لون ولا كون، ولا ينصره مدد ولا عون، ولا يخرج عن قدرته مقدور، ولا ينفك عن حكمه مفطور، ولا يعزب عن علمه معلوم، ولا هو على فعله كيف يصنع وما يصنع ملوم، لا يقال له: أين، ولا حيث، ولا كيف).

وبمثل هذه الفصاحة والبلاغة والبيان الذي يسحر السامعين والقارئین انتشر المذهب الأشعري، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول: «إن من البيان لسحرا»، ففي كلام القشيري ونقولاته البليغة والمزخرفة حق وباطل، وفي بعض كلامه ألفاظ مجملة لم يتكلم فيها السلف الصالح بالنفي ولا الإثبات، كالجسم والجوهر والعرض، ولا شك أن الله سبحانه ليس كمثله شيء، وما خطر ببالك فالله تعالى خلاف ذلك، وقد أخذ أهل الكلام مثل هذه الألفاظ من كتب الفلاسفة، وعلماء الكلام الفضلاء كالقشيري رحمه الله يريدون نصر الإسلام بما كتبوا من مصنفات، ويريدون تنزيه الله سبحانه عن النقائص بهذه العبارات، فوقعوا في تأويل كثير من الصفات، وقد أثر القشيري تأثيرا عظيما في الصوفية الذين اتخذوا رسالته عمدة في التصوف، فصار غالب الصوفية بعد القشيري أشاعرة أو متأثرين بمذهب الأشاعرة، مع أن الصوفية القدامى قبل القشيري كانوا يثبتون الصفات لله سبحانه، ولم يكونوا على مذهب الأشاعرة

المتأخرين الذين يؤولونها أو يفوضونها، قال أبو بكر الكلاباذي (ت ٣٨٠هـ) مبينا ما أجمع عليه الصوفية في كتابه التعرف لمذهب أهل التصوف (ص: ٣٥): (أجمعوا على أن لله صفات على الحقيقة هو بها موصوف من العلم والقدرة والقوة والعز والحلم والحكمة والكبرياء والجبروت والقدم والحياة والإرادة والمشية والكلام، وأنها ليست بأجسام ولا أعراض ولا جواهر، كما أن ذاته ليس بجسم ولا عرض ولا جوهر، وأن له سمعا وبصرا ووجها ويذا على الحقيقة، ليس كالأسماع والأبصار والأيدي والوجوه، وأجمعوا أنها صفات لله، وليس بجوارح ولا أعضاء ولا أجزاء).

### دور القشيري في تطوير المذهب الأشعري:

اشتهر القشيري بالتصوف أكثر من شهرته بالمذهب الأشعري، وقد أدخل القشيري التصوف في المذهب الأشعري، وربطه به، وذلك حين ألف رسالته المشهورة في التصوف وأحواله وتراجم رجاله المشهورين، فذكر في هذه الرسالة أن عقيدة أعلام التصوف هي عقيدة الأشاعرة، فكانت رسالته سببا عظيما في دخول الأشاعرة في التصوف، ودخول الصوفية في المذهب الأشعري.

٥- إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، (ت ٤٧٨هـ)

قال الذهبي في تاريخ الإسلام (١٠ / ٤٢٤ - ٤٢٨): (إمام الحرمين أبو المعالي ابن الإمام أبي محمد الجويني، رئيس الشافعية بنيسابور، قال أبو سعد السمعاني: كان إمام الأئمة على الإطلاق، المجمع على إمامته شرقا وغربا، لم

تر العيون مثله. تفقه على والده، فأتى على جميع مصنفاة، وتوفي أبوه وله عشرون سنة، فأقعد مكانه للتدريس، فكان يدرس ويخرج إلى مدرسة البيهقي، وأحكم الأصول على أبي القاسم الإسفراييني الإسكاف، واضطر إلى السفر عن نيسابور، فذهب إلى المعسكر، ثم إلى بغداد، وصحب أبا نصر الكندري الوزير مدة يطوف معه، ويلتقي في حضرته بالأكابر من العلماء، وينظرهم، ويحتك بهم، حتى تهذب في النظر، وشاع ذكره، ثم خرج إلى الحجاز، وجاور بمكة أربع سنين، يُدرّس ويفتي، ويجمع طرق المذهب، إلى أن رجع إلى بلده نيسابور، فأقعد للتدريس بنظامية نيسابور، واستقامت أمور الطلبة، وبقي على ذلك قريبا من ثلاثين سنة، غير مزاحم ولا مدافع، مسلّم له المحراب، والمنبر، والخطابة، والتدريس، ومجلس الوعظ يوم الجمعة، وظهرت تصانيفه، وحضر درسه الأكابر والجمع العظيم من الطلبة، وكان يقعد بين يديه كل يوم نحو من ثلاثمائة رجل، وتفقه به جماعة من الأئمة، وسمع الحديث من أبيه وغيره. قال السمعاني: قرأت بخط أبي جعفر الهمداني: سمعت أبا المعالي يقول: قرأت خمسين ألفا في خمسين ألفا، ثم خلّيت أهل الإسلام بإسلامهم فيها، وعلومهم الظاهر، وركبت البحر الخضم العظيم، وغصت في الذي نهى أهل الإسلام عنها، كل ذلك في طلب الحق، وكنت أهرب في سالف الدهر من التقليد، والآن رجعت من الكل إلى كلمة الحق، عليكم بدين العجائز، فإن لم يدركني الحق بلطيف بره، فأموت على دين العجائز، ويختم عاقبة أمري عند الرحيل على كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله، فالويل لابن الجويني يريد نفسه. وقال غانم

الموشيلي: سمعت الإمام أبا المعالي الجويني يقول: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما اشتغلت بالكلام. وقال أبو المعالي الجويني في كتاب الرسالة النظامية: اختلفت مسالك العلماء في الظواهر التي وردت في الكتاب والسنة، وامتنع على أهل الحق اعتقاد فحواها، فرأى بعضهم تأويلها، والتزم ذلك في أي الكتاب وما يصح من السنن، وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردھا، وتفويض معانيها إلى الرب تعالى، والذي نرتضيه رأياً، وندين الله به عقداً اتباع سلف الأمة؛ فالأولى الاتباع، وترك الابتداء، والدليل السمعي القاطع في ذلك أن إجماع الأمة حجة متبعة، وهو مستند معظم الشريعة، وقد درج صحب الرسول صلى الله عليه وسلم على ترك التعريض لمعانيها، ودرك ما فيها، وهم صفة الإسلام، المستقلون بأعباء الشريعة، وكانوا لا يألون جهداً في ضبط قواعد الملة، والتواصي بحفظها، وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها، فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغاً أو محتوماً لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، فإذا تصرم عصرهم وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل، كان ذلك قاطعاً بأنه الوجه المتبع، فحق على ذي الدين أن يعتقد تنزه الباري عن صفات المحدثين، ولا يخوض في تأويل المشكلات، ويكل معناها إلى الرب، فليجر آية الاستواء والمجيء، وقوله: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]، و﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، وما صح من أخبار الرسول كخبر النزول وغيره على ما ذكرنا. وقال محمد بن طاهر الحافظ: سمعت أبا الحسن القيرواني

الأديب بنيسابور، وكان يسمع معنا الحديث، وكان يختلف إلى درس الأستاذ أبي المعالي الجويني، يقرأ عليه الكلام يقول: سمعت الأستاذ أبا المعالي اليوم يقول: يا أصحابنا، لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به. وحكى أبو عبد الله الحسن بن العباس الرستمي فقيه إصبهان قال: حكى لنا أبو الفتح الطبري الفقيه قال: دخلت على أبي المعالي في مرضه، فقال: اشهدوا علي أني قد رجعت عن كل مقالة تخالف السلف، وأني أموت على ما تموت عليه عجائز نيسابور. وذكر محمد بن طاهر أن المحدث أبا جعفر الهمذاني حضر مجلس وعظ أبي المعالي، فقال: كان الله ولا عرش، وهو الآن على ما كان عليه. فقال أبو جعفر: أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها، ما قال عارف قط: يا الله؛ إلا وجد من قلبه ضرورة تطلب العلو، لا نلتفت يمنة ولا يسرة، فكيف ندفع هذه الضرورة عن أنفسنا؟! فقال: يا حبيبي، ما ثم إلا الحيرة، ولطم على رأسه ونزل، وبقي وقت عجيب، وقال فيما بعد: حيرني الهمذاني! ولأبي المعالي من التصانيف: كتاب (نهاية المطلب في المذهب)، وهو كتاب جليل في ثمانية مجلدات، وكتاب (الإرشاد في الأصول)، وكتاب (الرسالة النظامية في الأحكام الإسلامية)، وكتاب (الشامل في أصول الدين)، وكتاب (البرهان في أصول الفقه)، وكتاب (غياث الأمم في الإمامة). وكان إذا أخذ في علم الصوفية وشرح الأحوال أبكى الحاضرين. وقال الباخري في ترجمة الإمام أبا المعالي: الفقه فقه الشافعي، والآداب أدب الأصمعي، وفي بصره بالوعظ الحسن البصري).

رحم الله الإمام أبا المعالي الجويني، ولعله بسبب إخلاصه وصدقه وفقه الله للتوبة في آخر عمره من علم الكلام، فنسأل الله أن يكتب أجره مضاعفا على ما أصاب، وأن ينفعنا بعلمه التي أجاد فيها وأفاد، وأن يغفر له ما وقع فيه من زلل بسبب علم الكلام الذي ذمه علماء الإسلام.

### أثر أبي المعالي الجويني في تطوير المذهب الأشعري:

يعتبر أبو المعالي الجويني من أعظم أعلام الأشاعرة الذين طوروا المذهب الأشعري، وقربوه إلى مذهب المعتزلة، ومما تميز به أبو المعالي الجويني فيما يتعلق بمذهب الأشاعرة ما يلي:

أ - تجديد الجويني للمذهب الأشعري، فالجويني وإن تبنى أقوال شيوخه السابقين ونقلها إلا أنه رد أو ناقش ما يرى أنه يستحق الرد والمناقشة، حتى لو كانت تلك الأقول لأبي الحسن الأشعري، والباقلاني، وأبي إسحاق الإسفراييني، وابن فورك.

ب - تأويل الصفات الخبرية كالوجه والعين واليدين، مخالفا أئمة المذهب الأشعري الذين يثبتونها بلا تأويل كأبي الحسن الأشعري والباقلاني والبيهقي، ووافق الجويني المعتزلة في تأويل صفة الاستواء لله سبحانه بالاستيلاء، ولم يسبقه إلى هذا أحد من أئمة الأشاعرة الذين كانوا يردون على المعتزلة تأويلهم صفة الاستواء بالاستيلاء، بل إن الجويني ألزم الأشاعرة بتأويل صفة الوجه واليدين والعين كتأويل صفة النزول وغيرها.

ج - القرب من مذهب المعتزلة أكثر ممن سبقه من الأشاعرة.

د - صلته بالفلسفة: اطلع الجويني على كثير من كتب الفلاسفة، وتأثر بها في تأصيل المذهب الأشعري في بحوثه الكلامية.

هـ - إدخال علم المنطق وعلم الكلام في علم أصول الفقه، وقد تأثر بمنهجه هذا من جاء بعده من الأشاعرة وغيرهم كتلميذه أبي حامد الغزالي، والرازي، والآمدي.

قال ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٥ / ٥٠٧) عن أبي المعالي الجويني: (غير مذهب الأشعري في كثير من القواعد، ومال إلى قول المعتزلة؛ فإنه كان كثير المطالعة لكتب أبي هاشم بن الجبائي، وكان قليل المعرفة بمعاني الكتاب والسنة، وكلام السلف والأئمة، مع براعته وذكائه في فنه).

#### ٦ - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، (ت ٥٠٥هـ)

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٩ / ٣٢٢ - ٣٤٦): (الشيخ، الإمام، البحر، حجة الإسلام، أعجوبة الزمان، زين الدين، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، صاحب التصانيف، والذكاء المفرط. تفقه ببلده أولاً، ثم تحول إلى نيسابور في مرافقة جماعة من الطلبة، فلازم إمام الحرمين، فبرع في الفقه في مدة قريبة، ومهر في الكلام والجدل، حتى صار عين المناظرين، وأعاد للطلبة، وشرع في التصنيف، ثم سار أبو حامد إلى المخيم السلطاني، فأقبل عليه نظام الملك الوزير، وسر بوجوده، وناظر الكبار بحضرته، فانبهر له، وشاع أمره، فولاه النظام تدريس نظامية بغداد، فقدمها بعد

الثمانين وأربع مائة، وسنه نحو الثلاثين، وأخذ في تأليف الأصول والفقه والكلام والحكمة، وأدخله سيلان ذهنه في مضائق الكلام، ومزال الأقدام، والله سر في خلقه، وعظم جاه الرجل، وازدادت حشمته، بحيث إنه في دست أمير، وفي رتبة رئيس كبير، فأداه نظره في العلوم، وممارسته لأفانين الزهديات إلى رفض الرئاسة، والإنابة إلى دار الخلود، والتأله، والإخلاص، وإصلاح النفس، فحج من وقته، وزار بيت المقدس، وألف كتاب الإحياء، وراض نفسه وجاهدها، وطرد شيطان الرعونة، ولبس زي الأتقياء، ثم بعد سنوات سار إلى وطنه، لازما لسننه، حافظا لوقته، مكبا على العلم، قال عبد الغافر الفارسي: وكانت خاتمة أمره إقباله على طلب الحديث، ومجالسة أهله، ومطالعة الصحيحين، ولو عاش لسبق الكل في ذلك الفن بيسير من الأيام. قال أبو بكر بن العربي: شيخنا أبو حامد بلع الفلاسفة، وأراد أن يتقيأهم، فما استطاع. وقال القاضي عياض: الشيخ أبو حامد غلا في طريقة التصوف، وتجرد لنصر مذهبهم، وصار داعية في ذلك، وألف فيه تواليفه المشهورة، أخذ عليه فيها مواضع، وساءت به ظنون أمة، والله أعلم بسرره، ونفذ أمر السلطان عندنا بالمغرب وفتوى الفقهاء بإحراقها والبعد عنها، فامتثل ذلك. قلت: ما زال العلماء يختلفون، ويتكلم العالم في العالم باجتهاده، وكل منهم معذور مأجور، ومن عاند أو خرق الإجماع، فهو مأزور، وإلى الله ترجع الأمور. قد ألفت الرجل في ذم الفلاسفة كتاب التهافت، وكشف عوارهم، ووافقهم في مواضع ظنا منه أن ذلك حق، أو موافق للملة، ولم يكن له علم بالآثار، ولا خبرة بالسنن النبوية القاضية على

العقل، وحبب إليه إدمان النظر في كتاب (رسائل إخوان الصفا)، وهو داء عضال، وجرب مرد، وسم قتال، ولولا أن أبا حامد من كبار الأذكياء، وخيار المخلصين؛ لتلف، فالحذار الحذار من هذه الكتب، واهربوا بدينكم من شبه الأوائل، وإلا وقعتم في الحيرة، فمن رام النجاة والفوز، فليلزم العبودية، وليدمن الاستغاثة بالله، وليتهل إلى مولاه في الثبات على الإسلام، وأن يتوفى على إيمان الصحابة، وسادة التابعين، والله الموفق، فبحسن قصد العالم يغفر له وينجو إن شاء الله. وقال أحمد بن صالح الجيلي في تاريخه: أبو حامد لقب بالغزالي، برع في الفقه، وكان له ذكاء وفطنة وتصرف، وقدرة على إنشاء الكلام، وتأليف المعاني، ودخل في علوم الأوائل، وغلب عليه استعمال عباراتهم في كتبه، قال ابن النجار: أبو حامد إمام الفقهاء على الإطلاق، ورباني الأمة بالاتفاق، ومجتهد زمانه، وعين أوانه، برع في المذهب والأصول والخلاف والجدل والمنطق، وقرأ الحكمة والفلسفة، وفهم كلامهم، وتصدى للرد عليهم، وكان شديد الذكاء، قوي الإدراك، ذا فطنة ثاقبة، وغوص على المعاني، قلت: أما الإحياء ففيه من الأحاديث الباطلة جملة، وفيه خير كثير لولا ما فيه من آداب ورسوم وزهد من طرائق الحكماء، ومنحرفي الصوفية، نسأل الله علما نافعا، تدري ما العلم النافع؟ هو ما نزل به القرآن، وفسره الرسول صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً، ولم يأت نهي عنه، قال عليه الصلاة والسلام: «من رغب عن سنتي فليس مني»، فعليك يا أخي بتدبر كتاب الله، وبإدمان النظر في الصحيحين وسنن النسائي، ورياض النووي وأذكاره، تفلح وتنجح، وإياك وآراء عباد الفلاسفة،

ووظائف أهل الرياضات، وجوع الرهبان، وخطاب طيش رؤوس أصحاب الخلوات، فكل الخير في متابعة الحنيفية السمحة، فواغوثاه بالله، اللهم اهدنا إلى صراطك المستقيم. قال أبو الفرج ابن الجوزي: صنف أبو حامد الإحياء، وملاؤه بالأحاديث الباطلة، ولم يعلم بطلانها، وتكلم على الكشف، وخرج عن قانون الفقه ... ومن عقيدة أبي حامد رحمه الله تعالى، أولها: الحمد لله الذي تعرف إلى عباده بكتابه المنزل على لسان نبيه المرسل، بأنه في ذاته واحد لا شريك له، فرد لا مثل له، صمد لا ضد له، لم يزل ولا يزال منعوتا بنعوت الجلال، ولا تحيط به الجهات، ولا تكنفه السماوات، وأنه مستو على العرش على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده، منزها عن المماساة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال، وهو فوق كل شيء إلى التخوم، وهو أقرب إلينا من جبل الوريد، لا يماثل قربه قرب الأجسام، كان قبل خلق المكان والزمان، وهو الآن على ما كان عليه، وأنه بائن بصفاته من خلقه، ما في ذاته سواه، ولا في سواه ذاته، مقدس عن التغير والانتقال، لا تحله الحوادث، وأنه مرئي الذات بالأبصار في دار القرار، إتماما للنعم بالنظر إلى وجهه الكريم. إلى أن قال: ويدرك حركة الذر في الهواء، لا يخرج عن مشيئته لفته ناظر، ولا فلة خاطر، وأن القرآن مقروء بالألسنة، محفوظ في القلوب، مكتوب في المصاحف، وأنه مع ذلك قائم بذات الله، لا يقبل الانفصال بالانتقال إلى القلوب والصحف، وأن موسى سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف ... ثم قال الذهبي: هذا المعتقد غالبه صحيح، وفيه ما لم أفهمه، وبعضه فيه نزاع بين أهل المذاهب، ويكفي المسلم في الإيمان أن

يؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والقدر خيره وشره، والبعث بعد الموت، وأن الله ليس كمثله شيء أصلاً، وأن ما ورد من صفاته المقدسة حق، يمر كما جاء، وأن القرآن كلام الله وتنزيله، وأنه غير مخلوق، إلى أمثال ذلك مما أجمعت عليه الأمة، ولا عبرة بمن شذ منهم، فإن اختلفت الأمة في شيء من مشكل أصول دينهم، لزمنا فيه الصمت، وفوضناه إلى الله، وقلنا: الله ورسوله أعلم، ووسعنا فيه السكوت. فرحم الله الإمام أبا حامد، فأين مثله في علومه وفضائله، ولكن لا ندعي عصمته من الغلط والخطأ، ولا تقليد في الأصول).

وقال ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٦ / ١٢٦)، (١٢٧): (كان أبو حامد من أعظم الناس ذكاءً، وطلباً للعلم، وبحثاً عن الأمور، وكان من أعظم الناس قصداً للحق، وله من الكلام الحسن المقبول أشياء عظيمة بليغة، ومن حسن التقسيم والترتيب ما هو به من أحسن المصنفين).

وقال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٦ / ٥٤، ٥٥): (الغزالي في كلامه مادة فلسفية كبيرة بسبب كلام ابن سينا في الشفا وغيره، ورسائل إخوان الصفا، وكلام أبي حيان التوحيدي، وأما المادة المعتزلية في كلامه فقليلة أو معدومة، وكلامه في الإحياء غالبه جيد، لكن فيه مواد فاسدة: مادة فلسفية، ومادة كلامية، ومادة من ترهات الصوفية، ومادة من الأحاديث الموضوعة).

### أثر أبي حامد الغزالي في تطوير المذهب الأشعري:

أولاً: يعتبر الغزالي من أشهر أعلام الأشاعرة الذين دافعوا عن المذهب الأشعري، وجاءت كتبه واستدلالاته ملخصة كلام من سبقه من أعلام الأشاعرة

مع صياغة جديدة، وأسلوب سهل، وهو مكث من التأليف، وكتبه اشتهرت شرقاً وغرباً، وكان لها أعظم الأثر في نشر التصوف والعقيدة الأشعرية، والملاحظ في مذهب الغزالي تركيزه على:

- ١- القول بصحة إيمان المقلد خلافاً للمشهور من مذهب جمهور الأشاعرة.
- ٢- تأكيد إنكار السببية، وهي مسألة مشهورة في المذهب الأشعري، وكان لهذا تأثير كبير في الفكر الصوفي بعد الغزالي حين أصبحت الكرامات والخوارق المزعومة للأولياء مقبولة مهما كان فيها من مخالفة للشرع والعقل.
- ٣- القول بقانون التأويل الكلامي حين يتوهم التعارض بين العقل والنقل، وقد تأثر بهذا القانون جمهرة الأشاعرة بعد الغزالي، وصار هذا القانون أحد ركائز العقيدة الأشعرية وأخطرها وأعظمها أثراً، وقد أفرد ابن تيمية بمؤلفه الكبير درء تعارض العقل والنقل.
- ٤- رده على الفلاسفة مع تأثره بهم، فقد ألف كتابه تهافت الفلاسفة بعد أن توسع في الفلسفة، وتقدم في ترجمة الغزالي قول تلميذه أبي بكر بن العربي: شيخنا أبو حامد بلع الفلاسفة، وأراد أن يتقيأهم، فما استطاع!

### ثانياً: تصوف الغزالي وفلسفته.

بقدر اشتهار الغزالي بأشعريته اشتهر بتصوفه، فهو يمثل مرحلة خطيرة من مراحل امتزاج التصوف بالمذهب الأشعري حتى كاد أن يكون جزءاً منه.

وإن المطلع على كتب الغزالي عفا الله عنا وعنه يجد فيها علما نافعا، وخيرا كثيرا، ونصائح ومواعظ طيبة، لكنها مخلوطة بعجائب من التصوف الفلسفي والبدع.

قال تلميذه أبو بكر بن العربي المالكي: (كان أبو حامد تاجا في هامة الليالي، وعقدا في لبة المعالي، حتى أوغل في التصوف، وأكثر معهم التصرف، فخرج على الحقيقة، وحاد في أكثر أحواله عن الطريقة، وجاء بألفاظ لا تطاق، ومعان ليس لها مع الشريعة انتظام ولا اتساق، فكان علماء بغداد يقولون: لقد أصابت الإسلام فيه عين، فإذا ذكره جعلوه في حيز العدم، وقرعوا عليه السن من ندم، وقاموا في التأسف عليه على قدم، فإذا لقيته رأيت رجلا قد علا في نفسه، ابن وقته، لا يبالي بغده ولا أمسه، فواحسرتي عليه). يُنظر: العواصم من القواصم لابن العربي تحقيق عمار طالبي (ص: ٧٨).

وقال الذهبي في تاريخ الإسلام (١١ / ٧١): (للغزالي غلط كثير، وتناقض في تواليفه العقلية، ودخول في الفلسفة، وشكوك، ومن تأمل كتبه العقلية رأى العجائب، وكان مزجي البضاعة من الآثار، على سعة علومه، وجلالة قدره، وعظمته).

وهذه نماذج من أقوال الغزالي غفر الله لنا وله، لا نذكرها تبعا لأخطائه، وإنما بيانا لحاله، وإن كنا نحبه ونجله، ونرجو أن الله سبحانه أحسن خاتمته:

(١) قال الغزالي في إحياء علوم الدين (٢ / ٣٠٤) معددا آداب السماع: (أن لا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء وهو يقدر على ضبط نفسه، ولكن إن رقص أو

تباكى فهو مباح إذا لم يقصد به المرءاة؛ لأن التباكي استجلاب للحنن، والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط... نعم، لا يليق اعتياد ذلك بمناصب الأكابر وأهل القدوة؛ لأنه في الأكثر يكون عن لهو ولعب، وماله صورة اللعب واللهو في أعين الناس فينبغي أن يجتنبه المقتدى به؛ لئلا يصغر في أعين الناس، فيترك الاقتداء به).

(٢) قال الغزالي في إحياء علوم الدين (٢ / ٣٠٤): (فإن قلت: فما تقول في تمزيق الصوفية الثياب الجديدة بعد سكون الوجد والفراغ من السماع، فإنهم يمزقونها قطعاً صغاراً، ويفرقونها على القوم، ويسمونها الخرقه؟ فاعلم أن ذلك مباح إذا قطع قطعاً مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات).

(٣) قال الغزالي في كتابه ميزان العمل (ص: ٤٠٧) ناصحاً طالب العلم في بيان المذهب الحق: (يناظر كل مسترشد بما يحتمله فهمه، فإن وقع له مسترشد تركي أو هندي، أو رجل بليد جلف الطبع، وعلم أنه لو ذكر له أن الله تعالى ليس ذاته في مكان، وأنه ليس داخل العالم ولا خارجه، ولا متصلاً بالعالم ولا منفصلاً عنه، لم يلبث أن ينكر وجود الله تعالى، ويكذب به، فينبغي أن يقرر عنده أن الله تعالى على العرش، وأنه يرضيه عبادة خلقه، ويفرح بها فيشبههم ويدخلهم الجنة عوضاً وجزاء، وإن احتمل أن يذكر له ما هو الحق المبين يكشف له، فالمذهب بهذا الاعتبار يتغير ويختلف، ويكون مع كل واحد على حسب ما يحتمله فهمه).

(٤) قال الغزالي في قواعد العقائد (ص: ١٦٢): (العلم بأن الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات، فإن الجهة إما فوق وإما أسفل وأما يمين وإما شمال أو قدام أو خلف وهذه الجهات هو الذي خلقها... قد ظهر استحالة كونه جوهرًا أو عرضًا فاستحال كونه مختصًا بالجهة، وإن أريد بالجهة غير هذين المعنيين كان غلطا في الاسم مع المساعدة على المعنى، ولأنه لو كان فوق العالم لكان محاذيا له، وكل محاذ لجسم فإما أن يكون مثله أو أصغر أو أكبر، وكل ذلك تقدير محوج بالضرورة إلى مقدر، ويتعالى عنه الخالق الواحد المدبر، فأما رفع الأيدي عند السؤال إلى جهة السماء فهو لأنها قبلة الدعاء). قلت: رد على أبي حامد الغزالي في كلامه هذا شيخ الشافعية في اليمن ابن أبي الخير العِمْراني في كتابه الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (٢/ ٦٠٩، ٦٢٠ - ٦٢٣) فقال: (قالت الأشعرية: لا يجوز وصفه بأنه على العرش ولا في السماء... وأما الأشعرية فقالوا: إذا قلت: إنه على العرش أفضى إلى أنه يكون محدودا أو أنه يفتقر إلى مكان وجهة تحيط به، وتعالى الله عن ذلك، والجواب: أنا وإن قلنا إنه على العرش كما أخبر بكتابه وأخبر به نبيه صلى الله عليه وسلم فلا نقول: إنه محدود، ولا إنه يفتقر إلى مكان، ولا تحيط به جهة ولا مكان، بل كان ولا مكان ولا زمان، ثم خلق المكان والزمان، واستوى على العرش بلا كيفية، ولم يخلق العرش لحاجة، بل كما حكى عن ذي النون المصري لما قيل له: ما أراد الله بخلق العرش؟ فقال: أراد الله أن لا تتيه قلوب العارفين،

ولم يخلقه لحاجته إليه، فإذا قيل للعبد المؤمن: أين الله؟ قال: على العرش، وقد صرح القاضي أبو بكر الباقلاني الأشعري في التمهيد بالقول في هذه المسألة كما قال أصحاب الحديث. وأما الغزالي فخالفهم وقال: أما رفع الأيدي في الدعاء إلى السماء فلأنها قبلة الدعاء كما أن البيت قبلة الصلاة، وهذا تمويه منه ومعاندة لما ورد به القرآن والسنة، وما عليه العلماء من الصحابة والتابعين. وأما قوله: إن السماء قبلة الدعاء، فيقال له: لو كان هذا كما قلت لم يصح الدعاء إلا لمن توجه بيديه إلى السماء كما لا تصح الصلاة إلا لمن توجه إلى الكعبة!).

(٥) قال الغزالي في بداية الهداية (ص: ٤٢، ٤٩): (واقراً قبل غروب الشمس أربع سور من القرآن هي: والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى، والمعوذتين، ... ويستحب يوم الجمعة أو ليلة الجمعة أن يصلي أربع ركعات بأربع سور: سورة الانعام، والكهف، وطه، ويس، فإن لم تقدر فسورة يس والدخان، و (الم) السجدة، وسورة الملك). ومعلوم أن هذا التخصيص لا دليل عليه، والاستحباب تشريع، لا بد فيه من دليل من الشرع.

والإمام الغزالي رحمه الله أعظم منظرٍ التصوف الفلسفي، وأثره كبير جداً في مزج التصوف بالمذهب الأشعري، ففتن بذلك كثير ممن جاء بعده، لا سيما وقد اشتهر أنه مجدد المائة الخامسة، وكان يُسمّى حجة الإسلام، ولا يُنكر

المنصف محاسنه وفضائله، ونحن نحبه ونجمله، وكل يؤخذ من قوله ويرد إلا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم، والله الأمر من قبل ومن بعد.

قال الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء (٢٠ / ٤٦): (نسأل الله العفو والمغفرة لأهل التوحيد، ونبرأ إلى الله من الهوى والبدع، ونحب السنة وأهلها، ونحب العالم على ما فيه من الاتباع والصفات الحميدة، ولا نحب ما ابتدع فيه بتأويل سائغ، وإنما العبرة بكثرة المحاسن).

وما أحسن ما قاله المعلمي رحمه الله: (واعلم أن الله تعالى قد يوقع بعض المخلصين في شيء من الخطأ ابتلاء لغيره، أتتبعون الحق ويدعون قوله أم يغترون بفضله وجلالته؟! وهو معذور بل مأجور؛ لاجتهاده وقصده الخير وعدم تقصيره؛ ولكن من تبعه مغترا بعظمته بدون التفات إلى الحجج الحقيقية من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فلا يكون معذورا، بل هو على خطر عظيم. ولما ذهبت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى البصرة قبل وقعة الجمل، أتبعها أمير المؤمنين علي عليه السلام ابنه الحسن وعمار بن ياسر رضي الله عنهما لينصحا الناس، فكان من كلام عمار لأهل البصرة أن قال: والله إنها لزوجة نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم في الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم بها ليعلم إياه تطيعون أم هي). يُنظر: آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (٢ / ٢٩٤).

فرحم الله أبا حامد الغزالي، وغفر الله لنا وله إسرافنا في أمرنا، وجزاه الله عنا خيرا على علومه التي أصاب فيها، فهو من العلماء الأجلاء الذين أثروا العلم

وأثروا فيمن جاء بعدهم لا سيما في الفقه وأصول الفقه ودقائق الورع والزهد، فأين نحن من علمه وفضله؟ ونقول لمن يتبع الغزالي على ما ثبت أنه أخطأ فيه من التصوف المخالف للهدى النبوي، والدعوة إلى المذهب الأشعري المخالف لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن اتبعهم بإحسان: إن الله ابتلاكم بالإمام الغزالي أتبعون الحق الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم أم تتبعون الغزالي رحمه الله!؟

#### ٧- فخر الدين الرازي محمد بن عمر، (ت ٦٠٦هـ)

قال الذهبي في تاريخ الإسلام (١٣ / ١٣٧ - ١٤٤): (العلامة فخر الدين أبو عبد الله القرشي البكري التيمي، الطبرستاني الأصل، الرازي، ابن خطيب الري، الشافعي المفسر المتكلم، صاحب التصانيف، قال ابن أبي أصيبعة: انتشرت في الآفاق مصنفات فخر الدين وتلامذته، وكان إذا ركب مشى حوله نحو ثلاث مائة تلميذ فقهاء، وغيرهم، وكان خوارزم شاه يأتي إليه، وكان شديد الحرص جدا في العلوم الشرعية والحكومية، حاد الذهن، كثير البراعة، قوي النظر في صناعة الطب، عارفا بالأدب، له شعر بالفارسي والعربي، كانوا يقصدونه من البلاد على اختلاف مطالبهم في العلوم وتفننهم، فكان كل منهم يجد عنده النهاية القصوى فيما يرومه منه، قرأ الفلسفة على المجد الجيلي، وقال القاضي شمس الدين ابن خلكان فيه: فريد عصره، ونسيج وحده، وشهرته تغني عن استقصاء فضائله، وتصانيفه في علم الكلام والمعقولات سائرة في الآفاق، وكل تصانيفه ممتعة، ورزق فيها سعادة عظيمة، وانتشرت في الآفاق، وأقبل الناس

على الاشتغال فيها، ورفضوا كتب المتقدمين، وكان يحضر مجلسه أرباب المقالات والمذاهب ويسألونه، ورجع بسببه خلق كثير من الكرامية وغيرهم إلى مذهب أهل السنة، وكان يلقب بهراة شيخ الإسلام. ويقال: إنه كان يحفظ كتاب (الشامل) في علم الكلام لإمام الحرمين، ولما وصل إلى السلطان شهاب الدين الغوري، بالغ في إكرامه والإنعام عليه، وحصلت له منه أموال عظيمة، واتصل بالسلطان خوارزم شاه محمد بن تكش، وحظي عنده، ونال أسمى المراتب. وكان يكثر البكاء حال الوعظ، وكان لما أثرى لازم الأسفار والتجارة، وعامل شهاب الدين الغوري في جملة من المال، ومضى إليه لاستيفاء حقه، فبالغ في إكرامه، ونال منه مالا طائلا، ومناقبه أكثر من أن تعد، وفضائله لا تحصى ولا تحد. وقال أبو المظفر سبط ابن الجوزي وأبو شامة: اعتنى الفخر الرازي بكتب ابن سينا وشرحها، وكان يعظ وينال من الكرامية، وينالون منه سبا وتكفيرا، وقيل: إنهم وضعوا عليه من سقاه السم فمات، وكانوا يرمونه بالكبائر، ولا كلام في فضله، وإنما الشناعات قائمة عليه بأشياء؛ منها أنه كان يقرر مسائل الخصوم وشبههم بأتم عبارة، فإذا جاء بالأجوبة، قنع بالإشارة، ولعله قصد الإيجاز، قال أبو شامة: وقد رأيت جماعة من أصحابه قدموا علينا دمشق، وكلهم كان يعظمه تعظيما كبيرا، ولا ينبغي أن يسمع فيمن ثبتت فضيلته كلام يستبشع، لعله من صاحب غرض من حسد، أو مخالفة في مذهب أو عقيدة. قلت: وتفسيره الكبير في اثنتي عشرة مجلدة كبار سماه (مفاتيح الغيب)، وله كتاب (عيون الحكمة) فلسفة، وكتاب في الرمل، وكتاب في الهندسة، وكتاب

(الاختبارات العلائية) فيه تنجيم، وكتاب (الاختبارات السماوية) تنجيم، وكتاب (الملل والنحل)، وكتاب (الطب الكبير)، ومصنفات كثيرة ذكرها الموفق ابن أبي أصيبعة، وقال: كان خطيب الري، وكان أكثر مقامه بها، وتوجه إلى خوارزم ومرض بها، وامتد مرضه أشهراً، ومات بهراة بدار السلطنة، وكان علاء الملك وزير خوارزم شاه قد تزوج بابنته، وكان لفخر الدين أموال عظيمة، ومماليك ترك وحشم وتجميل زائد، وعلى مجلسه هيبة شديدة. ومن شعره:

نهاية إقدام العقول عقال      وأكثر سعي العالمين ضلال  
وأرواحنا في وحشة من جسمنا      وحاصل ديانا أذى ووبال  
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا      سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا  
ومن كلام فخر الدين قال: رأيت الأصلاح والأصوب طريقة القرآن، وهو ترك التعمق والاستدلالات بأقسام أجسام السماوات والأرضين على وجود الرب ثم ترك التعمق، ثم المبالغة في التعظيم من غير خوض في التفاصيل، فأقرأ في التنزيه قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وأقرأ في الإثبات: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وعلى هذا القانون فقس، وأقول من صميم القلب من داخل الروح: إني مقر بأن كل ما هو الأكمل الأفضل الأعظم الأجل، فهو لك، وكل ما فيه عيب ونقص، فأنت منزّه عنه. وأقول: إن عقلي وفهمي قاصر عن الوصول إلى كنه صفة ذرة من مخلوقاتك. قال الإمام أبو عمرو بن الصلاح: حدثني القطب الطوغاني مرتين أنه سمع الفخر الرازي يقول: ليتني لم أشتغل بالكلام، وبكى. وقال في وصيته لما احتضر لتلميذه إبراهيم بن أبي بكر

الأصبهاني: لقد اختبرت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية؛ فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن؛ لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلالة لله، ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات، وما ذاك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى في تلك المضايق العميقة، والمناهج الخفية، وكل ما ورد في القرآن والصحاح، المتعين للمعنى الواحد، فهو كما هو، وأقول: ديني متابعة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وكتابي القرآن العظيم، وتعويلي في طلب الدين عليهما، وأما الكتب التي صنفتها، واستكثرت فيها من إيراد السؤالات، فليذكرني من نظر فيها بصالح دعائه، على سبيل التفضل والإنعام، وإلا فليحذف القول السيئ؛ فإني ما أردت إلا تكثير البحث، وشحذ الخاطر، والاعتماد في الكل على الله).

وقال القفطي، وهو معاصر له في إخبار العلماء بأخبار الحكماء (ص: ٢٢٠): (كان في زمننا الأقرب، قرأ علوم الأوائل وأجدها، وحقق علم الأصول، ودخل خراسان، ووقف على تصانيف أبي علي بن سينا والفارابي، وعلم من ذلك علما كثيرا، ... واستوطن مدينة هراة، وتملك بها ملكا، وأولد أولادا، وأقام بها حتى مات، ودفن بظاهر هراة عند جبل قريب منها، وأظهر ذلك، والحقيقة أنه دُفِن في داره، وكان يُخشى أن العوام يمثلون بجثته؛ لما كان يظن به من الانحلال).

وقال الحافظ ابن حجر في كتابه لسان الميزان (٦/ ٣١٩، ٣٢٠) عن الفخر الرازي: (كان في أول أمره فقيرا، ثم اتفق أنه صاهر تاجرا متمولا له ولدان

فزوجهما ابنتيه، ومات التاجر فتقلب الفخر في ذلك المال، وصار من رؤساء ذلك الزمان، يقوم على رأسه خمسون مملوكا بمناطق الذهب وحلل الوشي، وكان قال للسلطان يوما: نحن في ظل سيفك، فقال له السلطان: ونحن في شمس علمك! وكانت له أوراد من صلاة وصيام لا يدخل بها، وكان مع تبخره في الأصول يقول: من التزم دين العجائز فهو الفائز. وكان يعاب بإيراد الشبه الشديدة ويقصّر في حلها، ورأيت في (الإكسير في علم التفسير) للنجم الطوفي ما ملخصه: ما رأيت في التفاسير أجمع لغالب علم التفسير من القرطبي ومن تفسير الإمام فخر الدين إلا أنه كثير العيوب، فحدثني شرف الدين النصيبي عن شيخه سراج الدين الشرمساحي المغربي أنه صنف كتاب المآخذ في مجلدين بين فيهما ما في تفسير الفخر من الزيف والبهرج، وكان ينقم عليه كثيرا ويقول: يورد شبه المخالفين على غاية ما يكون من التحقيق، ثم يورد مذهب أهل السنة والحق على غاية من الوهاء! قال الطوفي: ولعمري إن هذا دأبه في كتبه الكلامية والحكمية حتى اتهمه بعض الناس، ولكنه خلاف ظاهر حاله؛ لأنه لو كان اختار قولاً أو مذهباً ما كان عنده من يخاف منه حتى يتستر عنه، ولعل سببه أنه كان يستفرغ قواه في تقرير دليل الخصم، فإذا انتهى إلى تقرير دليل نفسه لا يبقى عنده شيء من القوى، ولا شك أن القوى النفسانية تابعة للقوى البدنية، وقد صرح في مقدمة (نهاية العقول) أنه يقرر مذهب خصمه تقريراً لو أراد خصمه أن يقرره لم يقدر على الزيادة على ذلك! وذكر السكوني أن الرازي قال في كتبه في الأصول:

إن مذهب الجبر هو المذهب الصحيح، وقال بنفي صفات الله، وزعم أنها مجرد نسب وإضافات كقول الفلاسفة!).

وأشهر من رد على أخطاء الفخر الرازي العقدي ابن تيمية، وهو من أعرف الناس بأقواله، قال ابن تيمية في كتابه بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٨ / ٥٢٩، ٥٣٠): (الرازي كثير التناقض، يقول القول ثم يرجع عنه، ويقول في الآخر ما يناقضه، كما يوجد هذا في عامة كتبه، تغمده الله برحمته، وعفا عنه وسائر المؤمنين، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، وتوبته معروفة مشهورة).

### منهج الرازي وأثره في تطور المذهب الأشعري

يمثل الرازي مرحلة خطيرة في مسيرة المذهب الأشعري، فقد ترك مؤلفات عديدة دافع فيها عن المذهب الأشعري بكل ما يملكه من حجج عقلية، كما أنه أفاض في بعضها في دراسة الفلسفة، فوافق أصحابها حيناً وخالفهم حيناً آخر، بل وصل الأمر به إلى أن يؤلف في السحر والشرك ومخاطبة النجوم! وقد اختلفت آراء الناس فيه بين مادح وقادح، ومدافع عنه منافح، وناقد له جارح، وقد انتهى في آخر عمره إلى أن الحق في الرجوع إلى مذهب أهل الحديث، وهو الاستدلال بالكتاب والسنة، ولكن بقيت المشكلة في مؤلفاته الكلامية والفلسفية التي انتشرت؛ لذلك اختلفت أقوال الناس فيه وفي مؤلفاته، فمن الذين دافعوا عن الرازي ابن خلكان فقد قال في وفيات الأعيان (٤ / ٢٤٩) عن

الرازي ومؤلفاته: (له التصانيف المفيدة في فنون عديدة، ... وكل كتبه ممتعة، وانتشرت تصانيفه في البلاد، ورزق فيها سعادة عظيمة؛ فإن الناس اشتغلوا بها، ورفضوا كتب المتقدمين).

وقال تاج الدين السبكي في كتابه معيد النعم (ص: ٦٥) بعد أن بين ضرر الفلسفة وأعلامها كابن سينا: (فلقد حصل ضرر عظيم على المسلمين بمزج كلام الحكماء بكلام المتكلمين، ... فإن قلت: فقد خاض حجة الإسلام الغزالي والإمام فخر الدين الرازي في علوم الفلسفة ودونوها، وخلطوها بكلام المتكلمين فهلا تنكر عليهما! قلت: إن هذين إمامان جليلان، ولم يخض واحد منهما في هذه العلوم حتى صار قدوة في الدين، وضربت الأمثال باسمهما في معرفة علم الكلام على طريقة أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، فإياك أن تسمع شيئاً غير ذلك فتضل ضلالاً مبيناً، فهذان إمامان عظيمان، وكان حقا عليهما نصر المؤمنين، وإعزاز هذا الدين بدفع ترهات أولئك المبطلين، فمن وصل إلى مقامهما لا ملام عليه بالنظر في الكتب الفلسفية، بل هو مثاب مأجور).

أما الذين انتقدوا الرازي فكثيرون، منهم الذهبي قال عنه في كتابه ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٣/ ٣٤٠): (صاحب التصانيف، رأس في الذكاء والعقليات، لكنه عري من الآثار، وله تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث حيرة، نسأل الله أن يثبت الإيمان في قلوبنا، وله كتاب (السر المكتوم في مخاطبة النجوم)، سحر صريح، فلعله تاب من تأليفه إن شاء الله تعالى).

وقال عنه الشهرزوري في نزهة الأرواح (٢/ ١٤٤، ١٤٦): (أورد على الحكماء شكوكاً وشبهاً كثيرة، وما قدر أن يتخلص منها، وأكثر من جاء بعده ضل بسببها... متحير في مذاهبه التي يخطب فيها خبط عشواء).

وقال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (١٦ / ٢١٣، ٢١٤): (أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، الجهمي الجبري، قد يخرج إلى حقيقة الشرك وعبادة الكواكب والأوثان في بعض الأوقات، وصنف في ذلك كتابه المعروف في السحر وعبادة الكواكب والأوثان، مع أنه كثيراً ما يُحرّم ذلك، وينهى عنه متبعاً للمسلمين وأهل الكتب والرسالة، وينصر الإسلام وأهله في مواضع كثيرة، كما يشكك أهله ويشكك غير أهله في أكثر المواضع، وقد ينصر غير أهله في بعض المواضع، فإن الغالب عليه التشكيك والحيرة أكثر من الجزم والبيان).

وقال ابن تيمية أيضاً في كتابه بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٨ / ٤٦٥): (الرازي كثير السفسطة والتشكيك، فهو من أعظم المتكلمين سفسطة وتشكيكاً، لا يُعرف من جنس المتكلمين من هو أعظم تقريراً للشكوك والشبهات الباطلة وأضعف جواباً عنها منه).

ومن ذلك كلام الرازي المتهافت في مسألة حدوث العالم، والتي لا يشك أي مسلم ولو كان عامياً في حدوث العالم من العدم، وكم في القرآن من أدلة على أن الله خلق كل شيء، وأن الله هو الأول، ومع هذا جعل الرازي الكلام في هذه المسألة قد بلغ في العسر والصعوبة إلى حيث تضحل أكثر العقول فيه! يُنظر: المطالب العالية من العلم الإلهي للفخر الرازي (٤ / ٢٧).

قال ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل (٦ / ٣٢٥): (الرازي وأمثاله يدعون أنه ليس في السمع ما يصرح بأن الله كان وحده، ثم ابتداءً لإحداث الأشياء من العدم، بل يقولون بما هو أبلغ من ذلك، كما يذكر مثل ذلك في كتاب (المطالب العالية) وغير ذلك من كتبه).

وقد صرح الرازي أنه قضى شطرا كبيرا من حياته في قراءة كتب الفلسفة ليرد على أهلها، ولا شك أن اطلاعه عليها أثر أثرا سيئا في فكره واعتقاده، قال الرازي في كتابه اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص: ٩١): (كان أعظم الفلاسفة قدرا ارستطاليس، وله كتب كثيرة، ولم ينقل تلك الكتب أحد أحسن مما نقله الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا، الذي كان في زمن محمود بن سبكتكين، وجميع الفلاسفة يعتقدون في تلك الكتب اعتقادات عظيمة، وكنا نحن في ابتداء اشتغالنا بتحصيل علم الكلام تشوقنا إلى معرفة كتبهم لنرد عليهم، فصرفنا شطرا صالحا من العمر في ذلك، حتى وفقنا الله تعالى في تصنيف كتب تتضمن الرد عليهم).

ويعتبر الرازي إمام الأشاعرة المتأخرين، فقد وضع بعض التأليف التي أصبحت فيما بعد عمدة يعتمد عليها الأشاعرة، لا سيما كتابه أساس التقديس الذي يعتبر من أهم كتبه الأشعرية، وأكثرها شبهة، كتبه الرازي وأهداه للملك العادل محمد بن أيوب من كبار سلاطين الدولة الأيوبية، أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي، وقد رد على هذا الكتاب ابن تيمية في كتابه الكبير بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية المطبوع في ٨ مجلدات، حيث تتبع فيه

أقوال الرازي، ونقضها، وبين ما فيها من أخطاء وتليسات ومخالفة لمذهب السلف.

وقد ذهب الرازي مذهب الفلاسفة في القول بأن الكواكب أحياء ناطقة، وذهب إلى أن لها أثرا في تدبير العالم، قال الرازي في كتابه المطالب العالية من العلم الإلهي (٧ / ٣٤٩، ٣٥٥): (كلام الشيخ الرئيس ابن سينا في أكثر كتبه يدل على أن النفس الفلكية المباشرة لتحريك جسم السماء: قوة جسمانية سارية في ذلك الجسم ... والمختار عندي: أن النفس الفلكية جوهر مجرد عن الجسمية وعلائقها، ومع هذا فإنها موصوفة بالإدراكات الجزئية، والإرادات الجزئية، وكذلك أيضا موصوفة بالإدراكات الكلية، والإرادات الكلية، فهي عارفة بربها، وقاصدة بهذه الحركات: عبادة ربها وخالقها ومدبرها، ... وسائر الأفلاك موجودة في باطن الفلك الأعظم، فهي كالأجزاء من الفلك الأعظم، ونفوسها كالقوى المتشعبة من نفس الفلك الأعظم، ... فثبت بما ذكرنا: أن تدبير الحق سبحانه لعالم الأجسام إنما ابتداء من الفلك الأعظم، الذي هو العرش، وذلك الابتداء إنما حصل بواسطة النفس الفلكية، وأما سائر النفوس الفلكية والعنصرية، فهي نتائجها وشعبها وأولادها).

والناظر في كتاب الرازي (المطالب العالية من العلم الإلهي) يجد عجائب من علم السحر والتنجيم والطلاسم والشركيات، ومن أقواله في هذا الكتاب الذي حقه الإحراق، ونحزن أشد الحزن أن يكون من تأليف هذا الإمام:

(١) قال الرازي في المطالب العالية (٧ / ٢٧٥، ٢٧٦): (الفصل الثامن عشر في بيان كيفية الانتفاع بزيارة الموتى والقبور، سألني بعض أكابر الملوك عن هذه المسألة، وهو الملك محمد بن سام بن الحسين الغوري، وكان رجلاً حسن السيرة، مرضي الطريقة، شديد الميل إلى العلماء، قوي الرغبة في مجالسة أهل الدين والعقل، فكتبت له فيه رسالة، وأنا أذكر هاهنا ملخص ذلك الكلام، ... إن الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان، قوي النفس، كامل الجوهر شديد التأثير، ووقف هناك ساعة، وتأثرت نفسه من تلك التربة؛ حصل لنفس هذا الزائر تعلق بتلك التربة، وقد عرفت أن لنفس ذلك الميت، تعلق بتلك التربة أيضاً، فحينئذ يحصل لنفس هذا الزائر الحي، ولنفس ذلك الإنسان الميت ملاقة، بسبب اجتماعهما على تلك التربة (...). وهذا الذي ذكره الرازي فيه تبرير للتوسل بالموتى، والاستغاثة بهم، والله المستعان!

(٢) قال الرازي في المطالب العالية (٨ / ٥٢): (لا يمكن القطع بأن خالق المعجزات هو الله تعالى، بل لا يمتنع أن يكون فاعلها هو هذه الكواكب). هذا كلام الرازي بحروفه، فنعوذ بالله من هذا الكلام الضال.

(٣) قال الرازي في المطالب العالية (٨ / ١٤٣): (مقدمة في بيان أنواع السحر، النوع الأول: وهو أعظمها قوة، وأشدّها تأثيراً على ما يقال: السحر المبني على مقتضيات أحكام النجوم ... فإذا طلب من الكوكب حالة مخصوصة، مناسبة لعمل مخصوص ثم جمع بين الأشياء الفعلية المناسبة لذلك

الكوكب، ولذلك الأثر، فحينئذ قد حصل الفاعل القوي على ذلك الفعل، وحصلت المواد القابلة لذلك الأثر، المناسبة له، وعند الجمع بين الفاعل وبين القابل، لا بد وأن يظهر الأثر).

(٤) قال الرازي في المطالب العالية (٨ / ١٧٩، ١٨٠)، ونحزن أشد الحزن على ما قاله من هذا الضلال المبين: (إن أصحاب الأحكام أثبتوا لكل كوكب معنى من الطعوم والروائح، والأزمنة والأمكنة، والأشكال والصور، فإذا أراد الإنسان تحصيل أمر من الأمور، علم أن ذلك العمل لا يصدر إلا من الكوكب الفلاني، فحينئذ يسعى في تقوية ذلك الكوكب من جميع الوجوه التي قد بينها، ثم يجمع بين جميع الأمور المناسبة لذلك الكوكب من القوابل السفلية، فإذا اجتمعت هذه القوابل حال كون ذلك الكوكب قوي الحال، ظهر التأثير لا محالة... وإن أردت عمل طلسم لإيقاع بلاء بإنسان وتمريضه، فاطلب حلول زحل في الدرجات المناسبة لهذا العمل، واتخذ تمثالا على هيئة ذلك الإنسان، واعتمد في ذلك الوقت أن تفسد عضوا من أعضائه، وموضعا من جسده فإنك إذا فعلت ذلك، فسد ذلك العضو من ذلك الإنسان).

ومن أعظم طامات الرازي تقريره أن أحاديث الآحاد لا تفيد إلا الظن، ولا يجوز التمسك بها في العقيدة حتى ولو كانت في صحيحي الإمامين البخاري ومسلم القشيري رحمهما الله!

قال الرازي: (أخبار الأحاد مظنونة فلم يجز التمسك بها في معرفة الله تعالى وصفاته ... أما البخاري والقشيري فهما ما كانا عالمين بالغيوب، بل اجتهدا واحتاطا بمقدار طاقتهما، فأما اعتقاد أنهما علما بجميع الأحوال الواقعة في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم إلى زماننا فذلك لا يقوله عاقل، غاية ما في الباب أنا نحسن الظن بهما، وبالذين روي عنهم، إلا أنا إذا شاهدنا خبرا مشتملا على منكر لا يمكن إسناده إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قطعنا بأنه من أوضاع الملاحظة ومن ترويجاتهم على أولئك المحدثين ... واعلم أن هذا الباب كثير الكلام، وأن القدر الذي أوردناه كاف في بيان أنه لا يجوز التمسك في أصل الدين بأخبار الأحاد، والله أعلم) انتهى كلام الرازي بحروفه من كتابه أساس التقديس في علم الكلام (ص: ١٢٧ - ١٢٩)، وهو كلام طويل فيه أخطاء ومغالطات كثيرة. ويُنظر في الرد على كلام الرازي: منهج الأشاعرة في العقيدة - الكبير لسفر الحوالي (ص: ١١١ - ١١٣).

وقد تعجب ابن تيمية من كلام الرازي في رد أحاديث الأحاد الصحيحة فقال في كتابه بيان تلبس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٣ / ٨٣): (من العجب العجيب أن هذا الرجل المحاد لله ولرسوله عمد إلى الأخبار المستفيضة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي توارثها عن أئمة الدين، وورثة الأنبياء والمرسلين، واتفق على صحتها جميع العارفين؛ فقدح فيها قدحا يشبه قدح الزنادقة المنافقين!).

وأعجب من هذا وأشنع وأقبح أن الرازي قرر أن الأدلة النقلية وإن كانت من القرآن الكريم لا تفيد اليقين، وإنما تفيد الظن، فإذا حصل تعارض بينها وبين العقل فيجب عنده تقديم العقل؛ لأن الأدلة العقلية قطعية، وأما أدلة القرآن وكذلك أدلة السنة النبوية سواء المتواترة أو الأحاد فهي ظنية الدلالة!

قال الرازي: (الدلائل النقلية لا تفيد اليقين؛ لأنها مبنية على نقل اللغات، ونقل النحو والتصريف، وعدم الاشتراك، وعدم المجاز، وعدم الإضمار، وعدم النقل، وعدم التقديم والتأخير، وعدم التخصيص، وعدم النسخ، وعدم المعارض العقلي، وعدم هذه الأشياء مضمون لا معلوم، والموقوف على المضمون مضمون، وإذا ثبت هذا ظهر أن الدلائل النقلية ظنية، وأن العقلية قطعية، والظن لا يعارض القطع). انتهى بحروفه من كتاب الرازي معالم أصول الدين (ص: ٢٥). ويُنظر نحو هذا الكلام في كتاب: الأربعين في أصول الدين للرازي (٢ / ٢٥١ - ٢٥٤)، المطالب العالية من العلم الإلهي للرازي (٩ / ١١٣ - ١١٧).

وهذا كلام خطير جدا، فيه تعطيل للإسلام كما قال ابن الصلاح، حيث جعل الرازي دلالات القرآن والسنة لا تفيد اليقين، قال ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٨ / ٤٨٧ - ٤٨٩): (كان الثقة يحدث عن الشيخ أبي عمرو ابن الصلاح أنه لما رأى قول الرازي: إن الأدلة السمعية لا تفيد اليقين لعنه على ذلك، وقال: هذا تعطيل للإسلام! والمقصود هنا أن يتبين أن دعواه أن كل دليل سمعي موقوف على مقدمات ظنية دعوى باطلة، معلوم

فسادها بالاضطرار، ولو صح هذا لكان لا يجزم أحد بمراد أحد، ولكن العلم بمراد كل متكلم لا يكون إلا ظنا، وهذا مما يعلم فساد بالاضطرار، وإذا كان آحاد العامة قد بين مراده بكلامه حتى يقطع بمراده فالعلماء أولى بذلك، وإذا كان العلماء المصنفون في العلوم يقطع بمرادهم في أكثر ما يقولونه كما يقطع بمراد الفقهاء والأطباء والحساب وغيرهم؛ فالرسول الذي هو أكمل الخلق علما وبيانا ونصحا أولى أن يبين مراده ويقطع به، وكلام الله تعالى أكمل من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، وأكمل بيانا، فهو أولى بالقطع بمراد الرب فيه من كلام كل أحد).

وقد قرر الرازي أنه يجب تقديم العقل على الكتاب والسنة، وشرط لجواز الاستدلال بالدليل النقلي سواء كان من القرآن والسنة أن لا يعارض العقل. يُنظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (٢/ ٢٥٣).

قال ابن تيمية ردا على دعوى تعارض العقل والنقل: (كل ما يدل عليه الكتاب والسنة فإنه موافق لصريح المعقول، والعقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح، ولكن كثيرا من الناس يغلطون إما في هذا وإما في هذا، فمن عرف قول الرسول ومراده به كان عارفا بالأدلة الشرعية، وليس في المعقول ما يخالف المنقول). يُنظر: مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (٣/ ٦٤)، وقد ألف ابن تيمية كتابا كبيرا بعنوان: درء تعارض العقل والنقل، مطبوع في عشرة مجلدات، رد فيه على الذين يدعون تعارض العقل الصريح مع النقل الصحيح كالرازي.

وقرر الرازي أن الأصل في الاستدلال أن يكون بالأدلة العقلية، أما الأدلة النقلية من القرآن والسنة فهي لزيادة اليقين، وليست أصلاً في الاستدلال، وإنما الاعتماد على العقول، قال الرازي في المطالب العالية (٩ / ٢١٤): (الدلائل العقلية إذا دلت على صحة قولنا، ثم رأينا أن ظواهر القرآن والأخبار تؤكد تلك العقليات، قوي اليقين، وزالت الشبهات).

قال ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل (٢ / ١٣): (لم يكن الأشعري وأئمة أصحابه على هذا، بل كانوا موافقين لسائر أهل السنة في وجوب تصديق ما جاء به الشرع مطلقاً، والقدح فيما يعارضه، ولم يكونوا يقولون: الأدلة السمعية لا تفيد اليقين، بل كل هذا مما أحدثه المتأخرون الذين مالوا إلى الاعتزال والفلسفة من أتباعهم).

وكان الواجب على الأشاعرة المتأخرين أن يتبرأوا مما قاله الرازي مما خالف الكتاب والسنة، وخالف فيه أئمة الأشاعرة القدامى كأبي الحسن الأشعري والباقلاني وغيرهما، ولكن الأشاعرة المتأخرين جعلوا الرازي إماماً لهم، وفُتِنوا بقوله، والتزموا ما قرره لهم، فتجدهم في كتب العقيدة يكثرون من الاستدلال بالأدلة العقلية، ولا يستدلون بأدلة القرآن والسنة إلا قليلاً، فهم يقدمون العقل على النقل حتى ولو كان النقل من القرآن الكريم!

بل قال السنوسي عفا الله عنا وعنه، وهو من الأشاعرة المتأخرين المقلدين للرازي: (من أصول الكفر التمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير عرضها على البراهين العقلية والقواطع الشرعية، للجهد بأدلة

العقول، وعدم الارتباط بأساليب العرب)، يُنظر: حاشية الدسوقي على أم البراهين (ص: ٢١٧)، فنسأل الله الاستقامة على دينه، والتمسك بالقرآن والسنة بلا إفراط ولا تفريط، ونعوذ بالله من علم لا ينفع.

وإن الرازي عبرة للمعتبرين، فبسبب إعراضه عن الاستدلال بالقرآن والسنة وقع في حيرة عظيمة، وتناقض كثير، فهو أكثر الأشاعرة اضطرابا في أقواله، وهذا بالنظر إلى مجمل أقواله في جميع كتبه، كما أنه في بعض المسائل أعلن حيرته أو شكه، وتقدم أنه في آخر أمره رجع إلى طريقة القرآن الكريم وفضلها على غيرها، ومن أسباب هذه الأمور اعتقاده أن دلالات القرآن والسنة لا تفيد إلا الظن، وأنها لا تفيد اليقين، وإنما المعول عنده العقل، ولا يخفى أن العقول مختلفة متباينة، وما ينفيه بعقله يثبته غيره بالعقل، فمثلا ينفي الأشاعرة أن الله عال على خلقه، وأنه مستو على عرشه استواء يليق بعظمته، بدعوى أن العقل يعارض ذلك، مع أن أهل السنة يقررون علو الله على خلقه بالنقل أولا ثم بالعقل والفطرة، وقرروا أن العقل لا يخالف ذلك كما يدعي الأشاعرة!

ومن أسباب حيرة الرازي أيضا: خوضه في المسائل الفلسفية والكلامية، وتقريره لكل مسألة بالأدلة التي أوردها أصحابها، وزيادته على ذلك بأدلة من عنده يرى أنها تصلح أن تكون دليلا لهم.

قال الأستاذ الدكتور حسين آتاي عميد كلية الإلهيات بجامعة أنقره في تقديمه لكتاب محصل أفكار المتقدمين للرازي: (من خلال اطلاعنا على ما كُتب عن هذا العالم الكبير فخر الدين الرازي وعلى ضوء ما توصلنا إليه من نتائج نستطيع

أن نقول: إن الرازي قد لعب دورا كبيرا في علم الكلام، والفلسفة الإسلامية، ويمكن إيجاز ذلك في نقطتين:

الأولى: إنه استوعب فلسفة أرسطو التقليدية، ثم كان أول من أدخل هذه الفلسفة في علم الكلام، ونتيجة لما قام به الرازي أصبح علم الكلام فلسفة، ويمكن أن نقول بعبارة أخرى: إنه جعل تلك الفلسفة كلاما، وهكذا امتزج علم الكلام بالفلسفة.

والثانية: وإذا كان الرازي قد أدخل الفلسفة في علم الكلام فإنه على ضوء فلسفة أرسطو التقليدية قد أعطى اتجاهها جديدا لعلم الكلام، فأثر بذلك على الفكر الإسلامي، وقد ظهر تأثير الرازي جليا في غيره من خلال بقاء العديد من العلماء والمفكرين أسرى اتجاهه ومنهجه بعد ذلك).

هذا، وأذكرُ القارئ الكريم بما تقدم أن الفخر الرازي في آخر حياته صرح بترجيحه مذهب السلف، وندم على دخوله في علم الكلام والفلسفة، قال ابن كثير في كتابه طبقات الشافعيين (ص: ٧٨٠): (قال الشيخ تقي الدين ابن الصلاح رحمه الله: أخبرني القطب الطوغاني مرتين أنه سمع الفخر الرازي يقول: ليتني لم أشتغل بعلم الكلام، وبكى)، فالندم توبة، ونسأل الله لنا وله المغفرة، وأن يجزيه خيرا على ما أصاب، وأن ينفع المسلمين بما كتبه من العلوم النافعة، وأن يكفيهم شر ما كتبه من العقائد الباطلة، والأقوال الرديئة، ونرجو أن يكون الله قد أحسن خاتمته بالتوبة مما وقع فيه من مصائب علم الكلام والفلسفة، والله أعلم بعباده.

## المبحث الخامس:

### سبب تأويل أو تفويض علماء الأشاعرة

#### لنصوص الصفات

إن منشأ فتنة الأشاعرة في باب الأسماء والصفات ظنهم أن جميع آيات وأحاديث الصفات من المتشابه الذي استأثر الله بعلم تأويلها، وأنه لا يفهم معناها، مع أنه لا يعلم أن السلف الصالح جعلوا أسماء الله وصفاته من المتشابه، ولا نعلم أحدا من العلماء المتقدمين جعل آيات وأحاديث الصفات كالكلام الأعجمي، وكالحروف المقطعة في أوائل السور، بل نصوصهم صريحة في أنهم يمرون آيات وأحاديث الصفات على ما دلت عليه بظاهرها اللائق بعظمة الله سبحانه، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكيف ولا تمثيل، وكانوا ينكرون تأويلات الجهمية والمعتلة الذين لا يثبتون لله سبحانه صفات الكمال التي أثبتها الله لنفسه في كتابه أو أثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم.

وقد ذكر شيخ المفسرين الإمام محمد بن جرير الطبري رحمه الله في تفسير قوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧] خمسة أقوال للسلف، ليس منها قول بأنها آيات الصفات، ورجح أن المحكم من آي القرآن: ما عرف العلماء تأويله، وفهموا

معناه وتفسيره؛ والمتشابه: ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله بعلمه دون خلقه، وذلك نحو الخبر عن وقت مخرج عيسى ابن مريم، ووقت طلوع الشمس من مغربها، وقيام الساعة، وفناء الدنيا، وما أشبه ذلك، فإن ذلك لا يعلمه أحد، ثم قال (٥ / ٢٠٠): (جميع ما أنزل الله عز وجل من آي القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنما أنزله عليه بيانا له ولأمته وهدى للعالمين، وغير جائز أن يكون فيه ما لا حاجة بهم إليه، ولا أن يكون فيه ما بهم إليه الحاجة، ثم لا يكون لهم إلى علم تأويله سبيل).

وعقد أبو الحسن الأشعري رحمه الله فصلا في كتابه مقالات الإسلاميين (١ / ١٧٧، ١٧٨) في حكاية أقاويل الناس في المحكم والمتشابه، ولم ينقل عن أحد أنه عدّ من المتشابه آيات الصفات.

وقال ابن قتيبة رحمه الله في كتابه تأويل مشكل القرآن (ص: ٦٦): (لسنا ممن يزعم أن المتشابه في القرآن لا يعلمه الراسخون في العلم، وهذا غلط من متأوليه على اللغة والمعنى، ولم ينزل الله شيئا من القرآن إلا لينفع به عباده، ويدل به على معنى أراد، فلو كان المتشابه لا يعلمه غيره للزمنا للطاعن مقال، وتعلق علينا بعلّة، وهل يجوز لأحد أن يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف المتشابه؟!).

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٢ / ١٠ - ١٢): (قوله: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٧] اختلف القراء في الوقف هاهنا، فقيل: على الجلالة، كما قال ابن عباس: التفسير على أربعة أنحاء: فتفسير لا يعذر أحد في فهمه،

وتفسير تعرفه العرب من لغاتها، وتفسير يعلمه الراسخون في العلم، وتفسير لا يعلمه إلا الله عز وجل. ويروى هذا القول عن عائشة، وعروة، وأبي الشعثاء، وأبي نهيك، وغيرهم ... وروى ابن جرير عن عمر بن عبد العزيز ومالك بن أنس: أنهم يؤمنون به ولا يعلمون تأويله. واختار ابن جرير هذا القول. ومنهم من يقف على قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧] وتبعهم كثير من المفسرين وأهل الأصول، وقالوا: الخطاب بما لا يفهم بعيد، وقد روى ابن أبي نجیح، عن مجاهد، عن ابن عباس أنه قال: أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله. وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد: والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به. وكذا قال الربيع بن أنس. ومن العلماء من فصل في هذا المقام فقال: التأويل يطلق ويراد به في القرآن معنيان، أحدهما: التأويل بمعنى حقيقة الشيء، وما يؤول أمره إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: ١٠٠]، وقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ [الأعراف: ٥٣] أي: حقيقة ما أخبروا به من أمر المعاد، فإن أريد بالتأويل هذا فالوقف على الجلالة؛ لأن حقائق الأمور وكنهها لا يعلمه على الجلية إلا الله عز وجل، ويكون قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧] مبتدأ و ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ [آل عمران: ٧] خبره. وأما إن أريد بالتأويل المعنى الآخر، وهو التفسير والتعبير والبيان عن الشيء كقوله تعالى: ﴿نَدَبْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ [يوسف: ٣٦] أي: بتفسيره، فإن أريد به هذا المعنى، فالوقف على: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧]؛ لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا

الاعتبار، وإن لم يحيطوا علما بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه، وعلى هذا فيكون قوله: ﴿يَقُولُونَ ءَأَمْتًا بِهِ﴾ [آل عمران: ٧] حالاً منهم، وقوله إخباراً عنهم أنهم ﴿يَقُولُونَ ءَأَمْتًا بِهِ﴾ [آل عمران: ٧] أي: بالمشابهة ﴿كُلُّ مَن عِنْدَ رَبِّنَا﴾ أي: الجميع من المحكم والمشابهة حق وصدق، وكل واحد منهما يصدق الآخر ويشهد له؛ لأن الجميع من عند الله، وليس شيء من عند الله بمختلف ولا متضاد؛ لقوله: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ وَلَوْ كَانَ مِّنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧] أي: إنما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها أولو العقول السليمة، والفهوم المستقيمة).

وقد تواترت أقوال السلف الصالح بإمرارهم آيات وأحاديث الصفات على ظاهرها اللائق بالله سبحانه، ومنعهم من تأويل معانيها، وإنكارهم على الذين يصرفونها بالتأويل إلى المجاز بلا دليل، وقد صنف أهل العلم كتباً كثيرة في إبطال تأويل الصفات، والرد على الجهمية وغيرهم من المتكلمين الذين يتجرؤون على آيات وأحاديث الصفات بالتأويل.

روى اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٧٤٠) عن الإمام محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله صاحب أبي حنيفة أنه قال: (اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب عز وجل، من غير تغيير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وفارق الجماعة، فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا،

ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا، فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة؛ لأنه قد وصفه بصفة لا شيء!).

وقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله في كتابه التبصير في معالم الدين (ص: ١٤٠، ١٤٢): (فإن قال لنا قائل: فما الصواب من القول في معاني هذه الصفات التي ذكرت، وجاء ببعضها كتاب الله عز وجل ووحيه، وجاء ببعضها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قيل: الصواب من هذا القول عندنا أن نثبت حقائقها على ما نعرف من جهة الإثبات ونفي التشبيه، كما نفى ذلك عن نفسه جل ثناؤه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. فيقال: الله سميع بصير، له سمع وبصر؛ إذ لا يعقل مسمى سميعا بصيرا في لغة ولا عقل في النشوء والعادة والمتعارف إلا من له سمع وبصر... فنثبت كل هذه المعاني التي ذكرنا أنها جاءت بها الأخبار والكتاب والتزليل على ما يعقل من حقيقة الإثبات، وننفي عنه التشبيه؛ فنقول: يسمع جل ثناؤه الأصوات، لا بخرق في أذن، ولا جارحة كجوارح بني آدم. وكذلك يبصر الأشخاص ببصر لا يشبه أبصار بني آدم التي هي جوارح لهم. وله يداً ويمين وأصابع، وليست جارحة، ولكن يداً مبسوطتان بالنعيم على الخلق، لا مقبوضتان عن الخير. ووجه لا كجوارح الخلق التي من لحم ودم. ونقول: يضحك إلى من شاء من خلقه. ولا نقول: إن ذلك كشر عن أسنان).

وقال الإمام ابن عبد البر المالكي رحمه الله في كتابه التمهيد (٧ / ١٤٥): (أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة،

والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكتفون شيئاً من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها، ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة).

وقال الإمام البغوي الشافعي رحمه الله في آخر كتابه شرح السنة (١٥/٢٥٧): (كل ما جاء من هذا القبيل في الكتاب أو السنة كاليد والإصبع والعين والمجيء والإتيان، فالإيمان بها فرض، والامتناع عن الخوض فيها واجب، فالمهتدي من سلك فيها طريق التسليم، والخائض فيها زائغ، والمنكر معطل، والمكيف مُشبه، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً).

والاتفاق الذي نقله محمد بن الحسن الشيباني وابن عبد البر في إمرار نصوص الصفات كما جاءت على الوجه الذي يليق بعظمة الله سبحانه من غير تأويل لها هو منهج أئمة السلف وأتباعهم، وهذا هو الأصل في نصوص الصفات، وإن كان قد يرد التأويل عن بعض العلماء في بعض النصوص، وقد يكون ذلك التأويل صحيحاً لدليل صحيح يدل عليه، وقد يتنازع العلماء في صحته، وإن ثبت التأويل فهو في الحقيقة تفسير وبيان، وليس صرفاً للفظ عن ظاهره، فإنه لا يمكن أن يكون ظاهر القرآن والحديث باطلاً وضلالاً.

**ومن التأويل الذي وقع فيه نزاع بين العلماء:** صفة النزول، قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله في بيان خلاف أهل الحديث في إثبات صفة النزول: (الفرقة الثانية: تقول: إن النزول إنما هو نزول الرحمة، ومنهم من يقول: هو إقبال الله على عباده، وإفاضة الرحمة والإحسان عليهم، ولكن يرد ذلك تخصيصه

بالسماء الدنيا، وهذا نوع من التأويل لأحاديث الصفات، وقد مال إليه في حديث النزول خاصة طائفة من أهل الحديث، منهم: ابن قتيبة والخطابي وابن عبد البر، وقد تقدم عن مالك، وفي صحته عنه نظر، وقد ذهب إليه طائفة ممن يميل إلى الكلام من أصحابنا). يُنظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن رجب (٦/ ٥٣٤).

فالأصل في نصوص الصفات أجراؤها على ظاهرها اللائق بعظمة الله سبحانه، وعدم تأويلها، وقد يقع نزاع بين العلماء في بعضها، قال ابن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى (ص: ٥٥١): (الصواب في كثير من آيات الصفات وأحاديثها القطع بإجرائها على ظاهرها اللائق بجلال الله كآيات والأحاديث الدالة على أن الله سبحانه فوق عرشه، وتُعلم طريقة الصواب في هذا وأمثاله بدلالة الكتاب والسنة والإجماع على ذلك، دلالة لا تحتمل النقيض، وفي بعضها قد يغلب على الظن ذلك مع احتمال النقيض، وتردد المؤمن في ذلك هو بحسب ما يؤتاه من العلم والإيمان، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور).

## المبحث السادس:

### حكم الأشاعرة

بعض طلاب العلم يظن أن الأشاعرة إنما يخالفون السلف الصالح في مسألة تأويل الصفات فقط، وليس الأمر كذلك، ولو كان خلافهم مع أهل السنة في هذه المسألة فقط لكان الأمر أهون، فإن من علماء أهل السنة من قد يرى تأويل بعض النصوص التي ليست دلالتها واضحة على إثبات الصفة، وإنما شنع العلماء على الأشاعرة بسبب دخولهم في علم الكلام، وتأثرهم بالفلاسفة، وتوسعهم في تأويل الصفات مثل تأويلات المعتزلة والجهمية، حتى أنكر متأخروا الأشاعرة صفة العلو لله سبحانه التي أجمع عليها أهل الإسلام ما عدا المتكلمين والمتأثرين بهم، ولم يثبت الأشاعرة إلا سبع صفات لله سبحانه لدلالة العقل عليها، وهي الحياة والإرادة والقدرة والعلم والسمع والبصر والكلام، ثم قالوا في كلام الله أنه كلام نفسي لا يُسمع، وذكر بعضهم كالرازي أن رؤية الله تكون بالانكشاف في القلب، فقاربوا المعتزلة في إنكار الرؤية بالعين، وقالوا بأن أخبار الآحاد وإن كانت صحيحة لا يُعتمد عليها في إثبات مسائل العقيدة، وتابعوا المرجئة في القول بأن الإيمان مجرد التصديق، وأن الأعمال ليست من الإيمان، ووافقوا الجبرية في نفي قدرة العبد، ولم يُفرِّقوا بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية، ولا يثبتون لأفعال الله سبحانه حكمة، ثم صار

المذهب الأشعري عند المتأخرين ممتزجا بالتصوف، فتوسعوا جدا في إثبات كرامات الأولياء ولو بالحكايات عن المجهولين، وتهاونوا كثيرا في توحيد الألوهية، حتى وقع بعضهم في تسويغ الاستغاثة بغير الله سبحانه، وتبرير وسائل الشرك كالتوسل بأصحاب القبور!

قال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٦ / ٥٥): (الأشعرية الأغلب عليهم أنهم مرجئة في باب الأسماء والأحكام، جبرية في باب القدر، وأما في الصفات فليسوا جهمية محضة، بل فيهم نوع من التجهم، وهم في الجملة أقرب المتكلمين إلى مذهب أهل السنة والحديث).

وقال ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل (٧ / ٢٩): (أئمتهم من أبعد الناس عن الاستدلال بالكتاب والسنة، وإنما عمدتهم في الشرعيات على ما يظنونه إجماعا، مع كثرة خطئهم فيما يظنونه إجماعا، وليس بإجماع، وعمدتهم في أصول الدين على ما يظنونه عقليات، وهي جهليات، لا سيما مثل الرازي وأمثاله، الذين يمنعون أن يستدل في هذه المسائل بالكتاب والسنة!).

ويجب التفريق عند الحكم على الأشاعرة بين متكلمي الأشاعرة كعبد القاهر البغدادي وأبي المعالي الجويني وأبي حامد الغزالي والشهرستاني والفخر الرازي والأمدي والإيجي ونحوهم عفا الله عنا وعنهم، وبين من تأثر بمذهب الأشاعرة من كبار علماء الأمة الأعلام كالنووي وابن حجر العسقلاني وغيرهما عن حسن نية واجتهاد أو متابعة خاطئة أو جهل بعلم الكلام أو ظنا أن مذهب السلف هو تفويض المعنى، وأن مذهب الخلف هو التأويل، وأن الأمر واسع

لمن اختار أحد الطريقتين، وفاتهم معرفة أن منهج السلف الصالح في الصفات هو تفويض الكيف لا المعنى، ولا شك أنهم في تأويلهم لبعض نصوص الصفات لا يقصدون إلا تنزيه الله سبحانه؛ لظنهم أن ظاهرها يحتاج إلى تأويل.

ويجب التفريق أيضا عند الحكم على الأشاعرة بين متقدميهم ومتأخريهم، وبين من هو أقرب إلى أهل السنة كأبي الحسن الأشعري والباقلاني والبيهقي وأبي القاسم ابن عساكر وأمثالهم من المتقدمين منهم، ومن اقترب من المعتزلة كعبد القاهر البغدادي وأبي المعالي الجويني، ومن اقترب من الفلاسفة كأبي حامد الغزالي والفخر الرازي والإيجي ونحوهم من المتأخرين، فليس الأشاعرة كلهم في طبقة واحدة.

ويجب التفريق أيضا عند الحكم على الأشاعرة بين غلاة الأشاعرة وغيرهم، فكثير من العلماء الفضلاء المنتسبين إلى المذهب الأشعري ليسوا غلاة، فمثلا العز بن عبد السلام مع نصرته لمذهب الأشعري ودعوته إليه صراحة إلا أنه لم يكن من غلاة الأشاعرة الذين يُكفرون أو يضللون مخالفيهم المثبتين للصفات. يُنظر: تحفة المرید علی جوهره التوحید للباجوري (ص: ١٦٥).

هذا ولا شك أن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل عالم يُؤخذ من قوله ويرد، فلا أحد من علماء المسلمين معصوم من البدعة والخطأ.

ومسألة تأويل الصفات أو تفويضها خطأ فيها كثير من علماء الأشاعرة تأثرا بعلماء الكلام، قال محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/ ٣٠ - ٣٢): (غلط في هذا خلق لا يحصى كثرة من

المتأخرين، فزعموا أن الظاهر المتبادر السابق إلى الفهم من معنى الاستواء واليد مثلا في الآيات القرآنية هو مشابهة صفات الحوادث، وقالوا: يجب علينا أن نصرفه عن ظاهره إجماعا؛ لأن اعتقاد ظاهره كفر؛ لأن من شبه الخالق بالمخلوق فهو كافر، ولا يخفى على أدنى عاقل أن حقيقة معنى هذا القول: أن الله وصف نفسه في كتابه بما ظاهره المتبادر منه السابق إلى الفهم الكفر بالله، والقول فيه بما لا يليق به جل وعلا! والنبى صلى الله عليه وسلم الذي قيل له: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] لم يبين حرفا واحدا من ذلك! مع إجماع من يعتد به من العلماء على أنه صلى الله عليه وسلم لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة إليه، وأحرى في العقائد، ولا سيما ما ظاهره المتبادر منه الكفر والضلال المبين، حتى جاء هؤلاء فزعموا أن الله أطلق على نفسه الوصف بما ظاهره المتبادر منه لا يليق، والنبى صلى الله عليه وسلم كتم أن ذلك الظاهر المتبادر كفر وضلال يجب صرف اللفظ عنه! وكل هذا من تلقاء أنفسهم من غير اعتماد على كتاب أو سنة، سبحانك هذا بهتان عظيم! ولا يخفى أن هذا القول من أكبر الضلال، ومن أعظم الافتراء على الله جل وعلا ورسوله صلى الله عليه وسلم، والحق الذي لا يشك فيه أدنى عاقل أن كل وصف وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، فظاهره المتبادر منه السابق إلى فهم من في قلبه شيء من الإيمان، هو التنزيه التام عن مشابهة شيء من صفات الحوادث، فبمجرد إضافة الصفة إليه جل وعلا يتبادر إلى الفهم أنه لا مناسبة بين تلك الصفة الموصوف بها الخالق، وبين شيء من

صفات المخلوقين، وهل ينكر عاقل أن السابق إلى الفهم المتبادر لكل عاقل: هو منافاة الخالق للمخلوق في ذاته وجميع صفاته؟! ومن يزعم أن ظاهر آيات الصفات لا يليق بالله لأنه كفر وتشبيه إنما جر إليه ذلك ما في قلبه من التشبيه بين الخالق والمخلوق، فأداه شؤم التشبيه إلى نفي صفات الله جل وعلا، وعدم الإيمان بها، مع أنه جل وعلا هو الذي وصف بها نفسه، فكان مشبهاً أولاً، ومعتلاً ثانياً، فارتكب ما لا يليق بالله ابتداءً وانتهاءً، ولو كان قلبه عارفاً بالله كما ينبغي، معظماً لله كما ينبغي؛ لكان المتبادر عنده السابق إلى فهمه أن وصف الله جل وعلا بالغ من الكمال والجلال ما يقطع أوهام علائق المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فيكون قلبه مستعداً للإيمان بصفات الكمال والجلال الثابتة لله في القرآن والسنة الصحيحة، مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق على نحو قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فلو قال متنطع: بينوا لنا كيفية الاتصاف بصفة الاستواء واليد، ونحو ذلك لنعقلها، قلنا: أعرفت كيفية الذات المقدسة المتصفة بتلك الصفات؟ فلا بد أن يقول: لا، فنقول: معرفة كيفية الاتصاف بالصفات متوقفة على معرفة كيفية الذات، فسبحان من لا يستطيع غيره أن يحصي الثناء عليه، هو كما أثنى على نفسه، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فتحصل من جميع هذا البحث أن الصفات من باب واحد، وأن الحق فيها متركب من أمرين:

**الأول:** تنزيه الله جل وعلا عن مشابهة الخلق.

**والثاني:** الإيمان بكل ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم إثباتاً أو نفيًا، والسلف الصالح رضي الله عنهم ما كانوا يشكون في شيء من ذلك، ولا كان يشكل عليهم، ... وهذا الذي ذكرنا من تنزيه الله جل وعلا عما لا يليق به، والإيمان بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، هو معنى قول الإمام مالك رحمه الله: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والسؤال عنه بدعة) انتهى باختصار وتصرف.

ونحن نعذر العلماء المعروفين بتعظيم الشريعة، والتمسك بالكتاب والسنة، وإن وقع منهم تأويل لبعض نصوص الصفات، فهم لم يقصدوا بتأويلها إلا تنزيه الله سبحانه؛ لظنهم أن ظاهرها يحتاج إلى تأويل.

قال ابن تيمية في منهاج السنة النبوية (٥ / ٢٣٩ - ٢٤١): (المتأول الذي قصده متابعة الرسول لا يكفر، بل ولا يفسق إذا اجتهد فأخطأ، وهذا مشهور عند الناس في المسائل العملية، وأما مسائل العقائد فكثير من الناس كفر المخطئين فيها، وهذا القول لا يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا عن أحد من أئمة المسلمين، وإنما هو في الأصل من أقوال أهل البدع، الذين يتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم، كالخوارج والمعتزلة والجهمية، ووقع ذلك في كثير من أتباع الأئمة، كبعض أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم ... وإذا لم يكونوا في نفس الأمر كفارا لم يكونوا منافقين، فيكونون من المؤمنين، فيستغفر لهم ويترحم عليهم. وإذا قال المؤمن: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ

رَّحِيمٌ ﴿ [الحشر: ١٠] يقصد كل من سبقه من قرون الأمة بالإيمان، وإن كان قد أخطأ في تأويل تأوله فخالف السنة، أو أذنب ذنبا، فإنه من إخوانه الذين سبقوه بالإيمان، فيدخل في العموم، وإن كان من الثنتين والسبعين فرقة، فإنه ما من فرقة إلا وفيها خلق كثير ليسوا كفارا، بل مؤمنين فيهم ضلال وذنوب يستحقون به الوعيد، كما يستحقه عصاة المؤمنين. والنبي صلى الله عليه وسلم لم يخرجهم من الإسلام، بل جعلهم من أمته، ولم يقل: إنهم يخلدون في النار، فهذا أصل عظيم ينبغي مراعاته؛ فإن كثيرا من المنتسبين إلى السنة فيهم بدعة).

## المبحث السابع:

### واقع الأشاعرة في العصر الحاضر

اتجه الأشاعرة المتأخرون في القرن الثامن وما بعده إلى تقرير المذهب الأشعري بالمتون والشروح والحواشي، واكتفى المؤلفون منهم بذكر تعدد أقوال العالم الواحد من أعلام الأشاعرة، وذكر الخلافات الأشعرية بين المتقدمين والمتأخرين منهم.

واستمر تدريس المذهب الأشعري منذ قرون وإلى يومنا هذا في الجامع الأزهر وجامعة القرويين وجامع الزيتونة، وخرج من هذه المراكز العلمية المشهورة علماء كثير متضلعون بالمذهب الأشعري.

وفي العصر الحاضر ينشط أتباع المذهب الأشعري نشاطا كبيرا في نصرة المذهب الأشعري، والدعوة إليه، والرد على يرد عليهم، وقد عقدوا مؤتمر الإمام أبي الحسن الأشعري في القاهرة سنة ٢٠١٠ م، وصدرت أعمال المؤتمر في أربعة مجلدات كبيرة مطبوعة عن مركز الأزهر للتأليف والترجمة والنشر.

وأقيم مؤتمر الشيشان المسمى مؤتمر أهل السنة والجماعة في جروزني عاصمة الشيشان يوم ٢٥ أغسطس ٢٠١٦ م برعاية رئيس الشيشان رمضان قاديروف لدعم النشاط الأشعري المعاصر، وقد حضره كثير من علماء

الأشاعرة وأعلامهم المعاصرين، ولهم كلمات في الثناء على المؤتمر وعلى رئيس الشيشان الذي عُقد برعايته، وكانت أبرز نتائج المؤتمر: بيان أن أهل السنة والجماعة هم الأشاعرة والماتريدية، ومنهم أهل الحديث المفوضة في الاعتقاد، وأهل المذاهب الأربعة في الفقه، وأهل التصوف. يُنظر: النشاط الأشعري المعاصر لمحمد ياسين (ص: ٢٣ - ٢٦).

وللأشاعرة المعاصرين مؤسسات ومراكز كثيرة تهتم بتقرير المذهب الأشعري، ونشر تراث الأشاعرة، في مصر والأردن واليمن والإمارات وتونس وليبيا والمغرب والشيشان وداغستان وغيرها.

ولكثير من أعلام الأشاعرة المشهورين مواقع في الإنترنت وقنوات في اليوتيوب وصفحات في الفيس بوك، وتوجد قناة تلفزيونية تسمى الإرث النبوي، أسست في الأردن سنة ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٣ م لخدمة النشاط الأشعري المعاصر، وتوجد للأشاعرة دور نشر خاصة تعنى بنشر كتب الأشاعرة وتحقيقها، وطباعة الكتب الأشعرية القديمة والمعاصرة.

### وأبرز مكونات الخطاب الأشعري المعاصر ثلاثة:

- ١) الدعوة إلى اتباع المذهب الأشعري أو الماتريدي في الاعتقاد.
- ٢) الدعوة إلى تقليد المذاهب الأربعة في الفقه.
- ٣) الدعوة إلى الطرق الصوفية في السلوك كالطريقة الشاذلية والرفاعية والعلوية.

يُنظر تفصيل ذلك في كتاب: النشاط الأشعري المعاصر لمحمد ياسين (ص: ٨٣ - ١٢٠).

ولو أن إخواننا الأشاعرة المعاصرين اقتصروا على تعلم العلم النافع وتعليمه، والدعوة إلى الله سبحانه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتركوا الدعوة إلى المذهب الأشعري لا سيما الذي استقر عليه متأخرو الأشاعرة بعد الرازي، واهتموا بتحقيق توحيد الله سبحانه، والتحذير من الشرك؛ لكان خيرا لهم.

هذا، وللأشاعرة المعاصرين جهود دعوية وعلمية عظيمة لا تُنكر، ومن ذلك اهتمامهم بالدعوة إلى الأخلاق الإسلامية، واهتمامهم بالفقه المذهبي الشافعي أو المالكي تعلمًا وتعليمًا، واهتمامهم بأصول الفقه والقواعد الفقهية ومقاصد الشريعة.

وتوجد لبعض فضلاء الأشاعرة المتأخرين والمعاصرين ردود طيبة على بعض المخالفين للإسلام والسنة، كالذين ينكرون بعض الأحكام القطعية كحد الردة أو حد رجم الزاني المحصن أو ينكرون بعض العقائد الصحيحة كنزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام آخر الزمان، أو يجوزون الحكم بغير ما أنزل الله، ولهم ردود موفقة على الملاحدة والمرتدين والعلمانيين وعلى مُنكري السنة النبوية وعلى الغلاة الذين يُكفرون المسلمين.

## المبحث الثامن:

### الحث على الاعتصام بالكتاب والسنة،

### وترك البدع

أمر الله المسلمين بالاعتصام بكتاب الله، واتباع رسوله عليه الصلاة والسلام، وذم التفرق والاختلاف، ونهى عن جميع الطرق والأسباب المؤدية إليه.

قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

وقال عز وجل: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضتْ وُجُوهُهُمْ ففِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٥-١٠٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وعن العرابض بن سارية رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون

ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة». رواه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وصححه.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كُفِيتُمْ). رواه الدارمي (٢١١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (عليك بتقوى الله، والاستقامة، اتبع ولا تبتدع). رواه الدارمي (١٤١).

وقال الأوزاعي رحمه الله: (عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوا لك القول). رواه الآجري في الشريعة (١٢٧).

وقال مالك بن أنس رحمه الله: (أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان). رواه أبو الفضل الرازي في كتاب أحاديث في ذم الكلام وأهله (ص: ٨٢).

وقال محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله: (حكمتي في أصحاب الكلام أن يُضْرَبُوا بالجريد، ويُحْمَلُوا على الإبل، ويُطَاف بهم في العشائر والقبائل، فينادى

عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأخذ في الكلام). رواه الخطيب  
البغدادي في شرف أصحاب الحديث (ص: ٧٨).

إِذَا اتَّضَحَ الصَّوَابَ فَلَا تَدْعُهُ      فَإِنَّكَ كُلَّمَا ذُقْتَ الصَّوَابَا  
وَجَدْتَ لَهُ عَلَى اللَّهَوَاتِ بَرْدًا      كَبَرْدِ الْمَاءِ حِينَ صَفَا وَطَابَا  
وَلَيْسَ بِحَاكِمٍ مَنْ لَا يُيَالِي      أَلْأَخْطَأُ فِي الْحُكُومَةِ أَمْ أَصَابَا

## الخاتمة

تبين في هذا البحث المختصر الذي جعلته نصيحة صادقة لإخواننا الأشاعرة أنه بسبب علم الكلام المحدث الذي نهى عنه كبار علماء الإسلام أخطأ الأشاعرة فيما تابعوا فيه الجهمية والفلاسفة والمعتزلة مما يخالف القرآن الكريم والسنة النبوية، وما عليه سلف الأمة، حتى فيما يتعلق بتوحيد الله سبحانه، ومن أهم نتائج البحث:

- (١) خوض الأشاعرة في علم الكلام الذي ذمه السلف الصالح، وتأثر مذهبهم بمذاهب المعتزلة والجهمية والفلاسفة، واختلاط مذهبهم بالتصوف المتضمن للبدع والمخالفات الشرعية.
- (٢) اختلاف مناهج الأشاعرة، فمن الأشاعرة من هو أقرب إلى أهل السنة كأبي الحسن الأشعري والباقلاني والبيهقي وأبي القاسم ابن عساكر، ومنهم من اقترب من المعتزلة كعبد القاهر البغدادي وأبي المعالي الجويني، ومنهم من اقترب من الفلاسفة كأبي حامد الغزالي والفخر الرازي.
- (٣) إدخال أبي القاسم القشيري التصوف في المذهب الأشعري، وجعله لهما مذهباً واحداً، ومتابعة أبي حامد الغزالي لهذا الاتجاه، حتى امتزج التصوف بالمذهب الأشعري.

- (٤) مخالفة متأخري الأشاعرة لمتقدميهم في كثير من المسائل، وتفاوت الأشاعرة في الخوض في التأويل أو القول بالتفويض، وفي التعامل مع المخالفين لهم، فمنهم الغلاة، ومنهم المقتصدون.
- (٥) الأثر السبيء لعلم الكلام والفلسفة على من يخوض فيهما ولو كان من كبار علماء الأمة.
- (٦) الهدى في التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، واتباع الصحابة الذين أثنى الله على من اتبعهم بإحسان بقوله: ﴿وَالسَّيْقُوتَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، والذين أمرنا الله بالإيمان بإيمانهم فقال سبحانه: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِءَ فَقَدْ أَهْتَدُوا﴾ [البقرة: ١٣٧].
- (٧) فضل علم السلف على علم الخلف، فالسلف الصالح أوسع علما، وأقل تكلفا، وأكثر خشية، وأبعد من البدع والغلو والتنطع.
- وكل خير في اتباع من سلف      وكل شر في ابتداع من خلف

## المحتويات

المقدمة .....	٢
المبحث الأول: التعريف بأبي الحسن الأشعري .....	٣
المبحث الثاني: نشأة المذهب الأشعري وأسباب انتشاره .....	٥
المبحث الثالث: تطور مذهب الأشاعرة .....	١٤
أبرز مظاهر التطور في المذهب الأشعري .....	١٤
المبحث الرابع: تراجم أشهر أعلام الأشاعرة الذين طوروا المذهب الأشعري .....	٣٢
تراجم أشهر أعلام الأشاعرة الذين طوروا المذهب الأشعري .....	٣٦
المبحث الخامس: سبب تأويل أو تفويض علماء الأشاعرة لنصوص الصفات .....	٨٠
المبحث السادس: حكم الأشاعرة .....	٨٧
المبحث السابع: واقع الأشاعرة في العصر الحاضر .....	٩٤
أبرز مكونات الخطاب الأشعري المعاصر .....	٩٥
المبحث الثامن: الحث على الاعتماد بالكتاب والسنة، وترك البدع .....	٩٧
الخاتمة .....	١٠٠
المحتويات .....	١٠٢

خلاصة كتاب

# نصيحة صديقنا الأقران

لإخواننا الأشاعرة

تأليف

الدكتور/ محمد بن علي بن جميل المطري

